دار العلم للملايين

تأليف : أكسنر

الجانب الجنسي من الزواج

سلسلة
الثقافة الجنسية

الجانب الجنسي من الزواج

تأليف : أكسنر

سلسلة
الثقافة الجنسية
٨

دار العلم للملايين

مؤسسة ثقافية

للترجمة والتأليف والنشر

تشرف عليها لجنة من الجامعيين

الرئيس

منير البعلبكي

استاذ الادب العربي بمدرسة البنات الاهلية

واحد اساتذة اللغة والادب بكلية المقاصد

المدير العام

بهيج عثمان

سكرتير تحرير

"الاديب"

•

الادارة : بيروت – شارع المعرض : بناية العلايلي

صندوق البريد ١٠٨٥

•

نوار ١٩٤٦

١ . الجنس في الحياة

•

سنحاول في هذا الفصل أن نضع بين يدي القارىء صورة لطبيعة الجنس وأهميته ، والدور الذي يلعبه في الحياة الانسانية ، ابتغاءَ أن نُساعد البعض في أن يتحققوا بذلك الاتجاه العلميّ المحرّر ، الذي هو ، قبل كل شيء ، ضروريّ لهناءَة الزواج .

إن الجنس ظاهرة عضوية يبدو أن لها أساساً كيميائياً معيناً ، يمكن اكتشافه في جميع الكائنات ، سواء كانت كائنات حيوانية أو نباتية . والظاهر أن كل شيء يدل على أن الجنس ، بالرغم من تعدد مظاهره واختلافها ، وظيفةٌ مستمرّةٌ ابداً ، ومتساوية في الطبيعة كلها . ولكن هذا التساوي لا ينفي أن يكون الجنس كثير الاختلاف والتباين ، كالحياة نفسها سواء بسواء ، وأنه ليس في وسعنا ان نحدده ونعرّفه باكثر مما نحدد الحياة أو نعرفها .

ويبدو أن الطبيعة قد اختبرت ، قروناً لا تحصى ، طريقةً لتخليد الحياة . فالخلية الواحدة التي كان يتركب منها هذا الشكل القديم للحياة ، كانت تنقسم فقط إلى خليتين جديدتين اثنتين . ولم يكن هناك إلا أبٌ واحد ، كما انه لم يكن هناك جنس . ويظهر أن هذه الطريقة في التناسل لم تكن لتلائم اطراد الاختلاف والتباين

في اشكال الحياة . ومع الزمن ، توصلت الطبيعة إلى طريقة في التناسل اقتضت اتحاد خليتين اثنتين مختلفتين ، هما اللتان انتهينا الى ان نعرفهما بالذكر والانثى . وإذ كانت هذه الطريقة تفسحُ المجال لاتحاد أوسع في الصفات الوراثية ، فقد كان لها أثر أبعد في عملية التطوّر .

والجنس ، في تلك الاجسام التي تتركب من خلية واحدة ، إنما يكون في أبسط حالاته . فليس بين هذه الاجسام فارق قويّ ظاهر بين بروتوبلازما الجرثومة والجسم . وهناك ، في كثير منها ، جاذبية مؤقتة أو دائمة بين فردين من نوع واحد . وهذه الجاذبية هي ، في الاساس ، ذات طبيعة كيميائية ، وتنشأ ، في العادة ، عن فرق يمكن قياسه بين الفردين عينهما . إنها تؤدي إلى اتحاد ، مؤقت او دائمٍ ، بين عناصر هذين الفردين .

فالواقع ، إذن ، أنّ العناصر البيولوجيّة في الجنس ، لا تعدو أن تكون في أبسط صورها عبارة عن الفارق التوفيقي الذي يكون بين نموذجين من افراد نوعٍ ما ، والذي يتميز بطبيعة تؤدي إلى جاذبية قوية ظاهرة بين الفردين تقود بدورها إلى اتحاد هذين الفردين. والاتحاد هو ، بيولوجياً ، جوهرُ العمل . وعدم التشابه هو ، على الاقل ، سببٌ رئيسي في الاتحاد ، كما أن الجاذبية تقدم الطريقة التي يتم بها هذا الاتحاد . ونحن إنما نستعمل التعبيرين : الذكر والانثى ، للدلالة على نموذجي الخليتين المتحدتين .

ويبدو أن الجنس اكثر غموضاً ، كما أنه ، غير شك ، اكثر تعقيداً ، في الحيوانات والنباتات التي تتعدّد فيها الخلايا ، والتي عرفت

دورين متباينين من التاريخ الخَلَوي . فأمّا المجموعة الاولى من هذه الخلايا فتاريخها بسيط ، نسبياً . فهناك سلسلة من الانقسامات التي ينشأ عنها ، آخر الأمر ، نموذجان اثنان من الخلايا يشبهان الاجسامَ التي تتألف من خلية واحدة ، والتي سبق منا ذكرها ،في جميع المظاهر الاساسية ، والمقدرات والسلوك . وهذان النموذجان هما اللذان يُعرفان بالبويضة والنطفة ، واللذان يملكان القوة على الاتحاد او الاخصاب . وهما يحتويان على بروتوبلازما الجرثومة ، هذه المادة الاساسية المتميّزة بالخلود ، والتي هي بمثابة الواسطة الكيميائية والجسدية التي عن طريقها يتسنى للنوع وصفاته البقاءُ والاستمرار .

أما في المجموعة الأخرى فهناك درجة عالية من التمايز تصاحب انقسامات الخلية فتنمو اجسام معقدة يبدو أن وظيفتها البيولوجية الأساسية تنحصر في أن تحفظ وتؤكد وظائف الخلايا الاصلية .

وبالرغم من حقيقة كون الفروق الجسمية بين الذكور والاناث من الناس وسائر الحيوانات المعقدة ثانويةً بالنسبة إلى الفروق الجنسية بين الخلايا الجرثومية ، من ناحيتي تطورها العام ، ونموها الفردي ، فان الذي لا يقبل الجدل أن هذه الفروق المكتسبة في الاجسام الابوية هي ما نفكر فيه عندما نستعمل كلمة « الجنس » . فما هي ، إذن ، العناصر الرئيسية في جنس « الوالدين » ، يعني في الاجسام التي تحمل الخلايا الجرثومية الجنسية ؟ والجواب أن هذه العناصر الرئيسية تختلف وتتباين إلى حدٍ كبير . فالأبوان ، من حيث « الذكورة » و « الانوثة » شيئان ،ولكل منهما ضربان من الاعضاء، تنطلق من أحدهما خلايا الذكر المنوية الاصلية ، يعني النطف ،

وتنطلق من الآخر البييضات . ويعرف هذان الأبوان بالخنثيين (والخنثى من له عضو الرجال وعضو النساء جميعاً). وهما متشابهان: بيد أن لهما عناصر الجنس الرئيسية . وهما يتجاذبان ويتزاوجان بطرق تتمكن معها نطف احدهما أو كليهما من الاقتراب من البييضات ومن أن تكون في وضع يمكن أن يؤدي إلى اتحاد بينها .

أما في الوالدين المزدوجي الشكل أو الهيئة dimorphic ، فالامر على نقيض ما أسلفنا . ذلك بان كلاً منهما يحمل ويعنى بضرب واحد من الخلايا الأصلية ، هو إما مذكّر (نطفة) أو مؤنث (بييضة) . وهنا ايضاً تؤدي الفروق الابوية إلى أن يجذب كل منهما الآخر ، وإلى أن يتزاوجا تزاوجاً قد ينشأ عنه اتحاد الخلايا الأصلية اتحاداً أساسياً . ومن هنا كان من الواجب ان نلاحظ أن الجنس في الاجسام التي تتركب من خلايا عديدة ينطوي ، بصورة أساسيّة ، وكما هي الحال في الخلايا الاصلية ، على فروق ، وجاذبية ، وتزاوج . وهذا الاخير (يعني التزاوج) هو اتصالٌ مؤقت ندعوه اتحاداً .

اما من الناحية البيولوجية ، فأن الاتحاد الأساسي الدائم هو ذلك الذي يتم بين الخلايا الاصليّة . وما اتحاد الابوين المؤقت إلا وسيلةٌ لتحقيق اتحاد الخلايا الاصلية الدائم .

إن الفروق بين الآباء والامهات ، في اشكالها المتطرفة ، تضمن: (١) الفروق بين الخصيتين ، والمبيضين ، والافرازات الداخلية التي تنشأ عن الخصيتين والمبيضين ، (٢) الفروق بين الاعضاء التناسلية التي يتم عن طريقها نقل النطف إلى المكان الذي يمكن أن تتحد فيه مع البُيَيْضات ، (٣) الفروق بين جسميهما ووظائفهما ، كالحجم ،

والشكل ، واللون ، والرائحة ، والصوت ، وكثير من الاعضاء الخاصة بالتمييز ، والهجوم ، والجاذبية ، الخ .. (٤) وأخيراً الفروق بين الغرائز ، والدوافع ، والشهيّات ، والانفعالات ، التي تساعد على تأمين التزاوج ، والفروق بين أنواع الرضا التي تصاحبه .

إن الجاذبية بين الابوين ، هذه الجاذبية التي تؤدي الى اتحادهما ، تتضمن ، إلى حد كبير ، أحاسيس كيميائية وجسدية شبيهة ، على الاقل ، باحاسيس اللمس والشم . ولكنّ الجاذبية في الاشكال الحيوانية العليا تتضمن أحاسيس إضافية من النظر والسمع ، تساعد على الأفادة من الفروق التي سبق منا ذكرها في الفقرة السابقة

وبكلمة اخرى نستطيع القول ان هناك تضخّماً وغنى في الفروق والجاذبية التي بين الجنسين الجسميّين (يعني الأبوين) – بالنسبة الى تلك التي بين الخلايا الاصلية المذكرة والمؤنثة . ومن هنا كانت انواع الرضا التي تنشأ عن تزاوج الابوين أكثر تعقداً وإرهافاً من تلك التي تنشأ عن اتحاد الخلايا الاصلية ، ما في ذلك شك .

ولكن ما علاقة كل هذا بمعنى الجنس في بني البشر ؟ إن التناسل ضرورة أساسية عضوية بسبيل حفظ النوع ، كنمو الحياة الفردية ، سواء بسواء ، في حين أنّ الجنس – سواء من حيث الفرق ، أو الجاذبية ، أو الاتحاد ، او الرضا – غير ضروري ، عموماً ، لا لحفظ الفرد وصيانته ، ولا للتناسل . إنما الجنس هو مُساعد على تناسلٍ ونمو يكونان أكثر فعالية . إن قيمته البيولوجية الأولى ليست في أنه أساس الجاذبية بين الزوجين ، أو في أنه يزودهما بالمغريات والمرغبات وأنواع الرضا واللذات ، بل في أنه يساعد ويكمل نمو

أفراد جدد يؤلفون جيلاً جديداً .

وإذن فقد رأينا مما تقدم أن وظيفة الاتحاد الجنسي الاولى ، في الطبيعة ، هي تأمين استمرار النوع ، وأن اللذة المرهفة التي تصاحبه إنما هي ثمرة عارضة ، أو محصول ثانوي a by-product . ولكنّ الثمرات العارضة أو المحاصيل الثانوية كثيراً ما تصبح لها ،في الحضارة كما في التجارة ، أهمية الصنف نفسه ، إن لم تفقه خطراً وشأناً . وهكذا ازدادت الجاذبيّة الجنسية العنصرية - مع تقدم النمو النفسي - تهذيباً ودقة ، شيئاً بعد شيء ، حتى انتهت آخر الامر إلى أن تتغلغل في شخصيّة الانسان كلها وتؤثر فيها ، وإلى ان تكون واسطة لا لأهداف جسديّة فحسب ،بل إلى أهداف روحية كذلك. ومن هنا تطورت تلك الجاذبية الجسدية البدائية التي كانت الواسطة إلى اهداف بيولوجية قبل كل شيء ، فانقلبت شيئاً فشيئاً إلى رفق ووجدان وحب ، هذه الصفات التي تُغني حياة الانسان ، والتي هي بمثابة الأساس لبناء حياتنا الاجتماعية . إنّ غريزة التزاوج في الرجل والمرأة في أيامنا هذه ليست وسيلةً لتأمين استمرار الحياة وحفظها فحسب ، بل لتأمين قيام الشخصية بوظائفها واعمالها بصورة صحيحة متناغمة ، ولتحقيق الحب . وقد لا أكون غالياً إذا قلت إنه في حين أن التوالد ، من الناحية البيولوجية ، يظلّ الوظيفة الرئيسية للجنس في الحياة البشرية ، فانّ وظيفته الرئيسية ، من الناحية السيكولوجية ، قد انتهت إلى أن تكون إغناء الحب وإنماءه . إن اولئك الذين لا يزالون يلحون على «المطابقة الحيوانية» كدليل للسلوك البشريّ ، معتقدين أن الاتحاد الجنسيّ ليس له من

مبرر إلا غرض التوالد ، هم في ضلال مبين . إنهم لا يقدرون المساعدات القيمة التي يقدمها الجنس لحياة الأنسان الروحية . فالجنس ، عند البشر ، هو الوسيلة إلى الحب ، مستقلاً عن التوالد . قال المرحوم كوليك Culick : « إن الجنس ، في الحياة البشرية ، يمكن أن يفسّر بحق بلغة العواطف والوجدانات » .

وأن تحليلاً مختصراً للطبيعة الجنسية البشرية ، كما هي الآن ، ولعناصرها الجسدية والنفسية ، قد يساعدنا على تكوين فكرة صالحة صحيحة عن وظائفها وصلاتها . فهناك اولاً الأساس البيولوجي للجنس . وهذا يشمل جميع التراكيب الجسدية ووظائفها ، وجميع العناصر البدائية النفسية الضرورية لحفظ النوع وخلوده : الآلة الجسدية الجنسية ووظائفها ودوافعها ، والهرمونات (الافرازات الداخلية) التي تفرزها الغدد الجنسية ، والحالات الذهنية التي تثير الشهوة وتؤثر فيها ، كالتفكير ، والرغبة ، والخيال الخ ... والجاذبية البدائية بين الذكر والأنثى ، هذه الجاذبية التي هي في الاساس جسدية مركّزة في الذات . ولقد استطاع هذا الاساس البيولوجي للجنس ان يوفي بحاجة الطبيعة الاساسية إلى حفظ النوع وخلوده .

ويجب ألا يتجاهل أحد الحقيقة التي تقول بأن هذا الاساس الجسدي للجنس ، بدوافعه المركزة في الذات ، هو اليوم حقيقةٌ ثابتةٌ ، في الرجال والنساء جميعاً ، كما كان في الانسان المتوحش البدائي في أقدم العصور . إن كل رجل سوي وامرأة سوية يملكان هذا الأساس الجسدي للجنس ، وهما مملوكان له . ذلك بأنه متأصل

في الطبيعة البشرية ، وأنه قوة ُيجب الاعتراف بهـا . وهو اليوم قادر على التعبير المباشر القاسي الاناني في الرجال والنساء كما كان في أي وقت من اوقات تاريخ التطور . ولكننا يجب أن لا نحتقره لهذا . فانه ، وهو العنصر الاساسي في الحب الجنسي ، إذا ما ُضبط ووُجه وجهة ً اجتماعية بشرية، ُيصبح أقوى مصدر يمد الحياة بالطاقة، ويصبح كذلك الطريق إلى الجمال، وإلى الصلات البشرية السعيدة .

ومن الأساس الجسدي للجنس نمت ، تدريجياً ، العناصر النفسية والاجتماعية التي وسعت الحياة البشرية إلى حد بعيد ، وجعلت من الممكن قيام عالم اجتماعي منظم . والشيء الذي لا شك فيه أن الحب الانساني ، في مدى تعبيره الوجداني والاجتماعي كله ، قد نشأ ، أول ما نشأ ، عن شرارة الحب الجنسي الأولى ، التي أضاءت لتأمين تزاوج الآباء . ولقد نمت هذه الاستجابة الودية ، منذ ادوارها الأولى ، عن طريق الاختيار الطبيعي ، فأصبح الأفراد الذين يتحلون باكبر قدر من المودة والميل أفضل الآباء ، فاستطاعوا لهذا أن ينتهوا بالصغار إلى النضج ، وأن يعيشوا إلى ما بعـــد غيرهم من الافراد الذين لا يتحلون بالقدر الذي يلفهم من المودة والميل . هكذا نمـا الحب في العالم . ومن الحب الجنسي ، منذ أن ظهر لاول مرة ، نما الفرعـان الرئيسيان للوجدان : الحب الزوجي ، والحب الأبوي . ولقد اتحَد هذان الفرعان ليشكلا أساس العائلة . ثم إن الصفـــات والصلات الحبية والاجتماعية التي نمت في العائلة امتدت، تدريجياً، إلى خارجها ، يعني إلى الاقرباء ، فالقبيلة ، فالدولة ، فالأمة . إنها أساس تركيبنا الاجتماعي كله .

وفي منطقة الجنس الاجتماعية هذه توجد أنواع الجاذبية الوجدانية السامية بين الذكر والانثى – مقابل أنواع الجاذبية الجسدية المركزة في الذات – هذه الانواع التي تتضمن التقدير ، والمعاشرة ، والمودة والميل ، والحب ، والايثار ، وبذل النفس ، والحماية ، والخدمة والتضحية ، والشجاعة ، والشهامة ، والشرف ، الخ . هذه الصفات هي نفسية واجتماعية . إنها صفات خدمة الغير ، التي تجد اكتفاءها الأكمل في خدمة الآخرين وسعادتهم .

وفي منطقة الجنس الانفعالية الاجتماعية هذه نجد ايضاً تلك المجموعة من العناصر التي تخص الابوة ، والتي هي ذات علاقة وثيقة بالجاذبية الجنسية – الأبوة ، والأمومة ، والأخوة ، والصلات الوجدانية بين الأب والأم والطفل والبيت ، بجميع ثروتها من العطف والمحبة والدوافع الاجتماعية . ولقد صور جالوي Galloway أهمية الجنس الاجتماعية تصويراً دقيقاً حين قال : « لا يحتاج الواحد منا ، بسبيل معرفة ما للجنس من أهمية حيوية عجيبة في الحياة ، إلا أن يذكر أن كل ما يُقصد بالكلمات الآتية إنما ينشأ عن الجنس ونتائجه : الرجولة ، الأنوثة ، الحب ، المداعبة والمغازلة ، الزواج ، البيت ، الأب ، الأم ، الحياة العائلية ، عناية الآباء والأمهات باطفالهم ، التربية والتعليم ، الأبناء والبنات ، الأخوة والاخوات ، الايثار البنوي ، الاخوة . وهذه الحقائق ، والافكار ، والصلات – والتعديلات والفضائل البشرية التي قد نمت فيما يتعلق بها – لا يمكن أن تكون قد وجدت إلا لذلك الشيء الذي ندعوه الجنس . إنها الثمرات الطبيعية السوية للجنس والتناسل ... حاول أن تزيل من

حياتنا وعقولنا الافكار والحقائق التي تدل عليها هذه الكلمات، وانا زعيم لك بان المدنية البشرية ، والتـــاريخ ، والأدب ، والشعر ، والسعادة ، تتجرد من اللباب ، ولا يبقى فيها سوى القشور » .

ووراء منطقة الجنس الاجتماعيةهذه تقع منطقة الحياة الكبرى، التي هي ، في ذات نفسها، غير جنسية ، والتي تعتنق دائرة اكبر من الاشواق وانواع النشاط الانسانية ، والتي تتأثر ، مع ذلك ، تأثراً عميقاً بالناحية الجنسية من الحياة .

وإذ كانت الصفات الجنسية الاجتماعية الحبية قـد نمت في الحياة بصورة متزايدة ، فقد خلع على التعبير الجنسي معنى وقيمة نفسيان، بصورة متزايدة كذلك . ففي المستوى الجسدي يميل التعبير الجنسي إلى ان يكون صغير الامد بين الرغبة والرضا . إنه يتخـــذ أقصر الطرق المبـــاشرة ، كالمجرى الكهربائي بين قطبين . ولكن التعبير الجنسي ، مع نمو العناصر الاجتماعية ، قد أصبح ، بصورة متزايدة ، طويل الامد ، في الاستجابات والقيم الاجتماعية والوجدانية والنفسية البشرية جميعها . لقد تهذبَ ، وتوجه وجهةً روحية اجتماعية . يقول هربرت Herbert : « لقد حاك الانسان نموذجاً جميلاً من صلة الحب في حيث لم يكن هناك بادىء الرأي سوى تصميم بسيط . لقد اخترع ألواناً وظلالاً كثيرة جميلة ، في حين لم يكن هناك أول الامر سوى خيط أحمر متقد من الشهوة » .

ولا يظنّنَّ أحدٌ أن طبيعة الانسان الجنسية قد خسرت ، مـع هذا الاتقان والأحكام في مناطق وجوده (أي الأنسان) النفسية والاجتماعية ، شدةَ الرضا والاكتفاء ودقتها . فالحقيقة غير هـــذا

تماماً . ذلك بأن رضا طبيعة الانسان الجنسية واكتفاءها قد أصبحا من جراء ذلك أكثر قيمة وأشد حيوية . فالتأثيرات النفسية التي تحدثها المداعبة والمغازلة ، مثلاً ، توقظ الاستجاباتِ الجسدية وتُطلقها كلها ،وهذه بدورها تخلع على المناطق النفسية في الحياة الوجدانية حيوية وقوة .

ويشعر كثير من المتزوجين ، وبخاصة الزوجات ، شعوراً غامضاً ، أو يعتقدون اعتقاداً راسخاً ، بأن الشهوة يجب ان تمحي من الصلات الزوجية ، أو أن تتضاءل على الاقل. إنّ كبت الجنس الذي يؤدي اليه هذا الاتجاه هو مقبرة الآمال والسعادة الزوجية ، فعسى ان يجد هؤلاء مما تقدم سبباً لتغيير هذا الاعتقاد الخاطىء .

يقول ديكنسون Dickinson : « إن الشهوة هي المادة التي تتألف منها خيوط الزواج ». ويهتف هافلوك أليس Havelock Ellis « إن ما نحتاج اليه هو الشهوة - الشهوة الأكثر شدة وامتلاءً ! » ويزيد فيقول : « وفي حين أنه من الصحيح أن الطاقة الجنسية يمكن أن تحبس ، إلى درجة كبرى ، وأن تحوّل إلى اشكالٍ عقلية وأدبية ، فانه من الصحيح مع ذلك أن اللذة نفسها ، واللذة الجنسية بخاصة ، إذا لم يُفرط فيها ، قد تُثبت أنها مُغرٍ بأجمل انواع النشاط وأفضلها، ومحرك بسبيلها . والحق إن هذه الوظيفة الرائعة التي للذة الجنسية لكافية لأن تدفع زعم اولئك الذين يدّعون أن الامتناع الجنسي او العفّة هو البديل الوحيد من الغاية الحيوانية من الزواج .

« وهناك كذلك التأثيرُ في الاتحاد نفسه . ذلك بأن الزوجين يتمكنان من التحقق ، عن طريق الصلات الجنسية المتناغمة ، باتحادٍ

روحي أعمق من ذلك الاتحاد الذي يمكن التحقق بـــه عن طريق العفة والامتناع الجنسي ، سواء في الحياة الزوجية أو خارجها » .

ويذهب فردريك هاريس F. Harris إلى صميم الموضوع عندما يقول : « هذا الاختبار الجنسي هو اختبارٌ حسيّ وأنه ليحمل الى المتزوجين ، كسائر الاختبارات الحسية ، المعاني التي يخلعونها عليه . والتعبيرات الجسدية تكون موحيةً وكريمة بقدر ما تعبر عن حبٍ صادق غير أنانيّ . ولكنها أكثر من مجرد تعبيرات : انها تصبـــح جزءاً حقيقياً من الحب . وإذ كانت مولودة من الحب ، فانها بدورها تخلق الحب » .

٢ . الفروق الجنسية

•

إن الفروق السيكولوجية بين الجنسين ، هذه الفروق التي تؤثر تأثيراً عميقاً جداً في الصلات بين الرجال والنساء هي ، غير شك ، مشتبكة أشد ما يكون الاشتباك بالفروق الفيزيولوجية والتشريحية ، ومن هنا لا يمكن بحثها إلا على اساس من الاعتراف الكامل بهذا الاشتباك .

ولسنا بحاجة إلى أن نغالي في التأكيد على أهمية تفهم الفروق النفسية ، وتأثيراتها في التعديل الصحيح في الزواج . وليس من شك في أن عدم قدرة الأزواج على التعديل في حياتهم الزوجية ، وبالتالي إخفاقهم وفشلهم فيها ، (مما سنكشفه في فصولنا التالية) قد نشأ ، في نسبة كبيرة من الحالات ، عن الجهل بهذه الفروق النفسية بين الجنسين ، وعدم تقديرها حق قدرها . يقول نايت دانلاب Knight Dunlap : « إن كثيراً من حالات الاخفاق في الزواج تُعرض على العالم النفسي ليرى رأيه فيها ، ويدلّ الازواج والزوجات على الطرائق التي يمكن أن يعدلوا فيها سلوكهم بحيث يتسنى لهم ان يحيوا حياةً زوجية ناجحة . فهناك حالات ، مثلاً ، لم يتوصل الزوجان فيها إلى الاتحاد الروحي المنشود ، بالرغم من تعلق أحدهما بالآخر

تعلقاً قوياً صادقاً ، وبالرغم من رغبة كل منهما في تحقيق هذا الاتحاد، فأخذت العائلة في الانحلال والتفسخ . وإن الحقيقة الظاهرة التي لا منجى منها في مثل هذه الحالات هي الجهل بنفسية الجنس ، ومن هنا كان عمل العالِم النفسي ، بسبيل تعديل حياة هذه العائلات ، أن يُطلع الازواجَ والزوجاتِ على بعض الحقائق البسيطة عن حياة الجنس العقلية . فما لم يكن الزوج والزوجة على استعدادٍ لتفهم الفروق الانفعالية الجوهرية بينهما ، فأنّ حظهما من النجاح في حياتهما الزوجية يكون ضئيلاً إلى أبعد الحدود . وكثيراً ما يتعلم الزوجان بسرعة كافية الحقائقَ التي تساعدهما على التعديل في حياتهما الزوجية، ولكنْ كم من عائلة تحطمت سعادتها وتقوضت أركانها قبل ان يتمكن الزوجان من معرفة هذه الحقائق ... »

وإنما سنستعين في هذا البحث بما قام بـه دانلاب من تحليل واضح . بيد انه من الضروري ، باديء الرأي ، أن نُكوّن فكرة أوسع مما ينطوي عليه تعبير « الرغبة الجنسية » . فالرغبة الجنسية تعني ، عند معظم الناس ، الرغبةَ في الاتصال الجنسي . وهذا معنى ضيقٌ بالكلية ، أما معناه عند دانلاب ، فيتضمن جميع الدوافع الفيزيولوجية والانفعالية التي تنشأ عن الفروق الجنسية . إنه يقول : « إننا كما نطلق على جميع الصفات الخاصة بالانثى ، او بالذكر ، اسم « الصفات الجنسية » سواء أكانت صفات الاعضاء الجنسية، أو كانت الصفات الثانوية ، من مثل الفروق في القامـة ، والشكل ، ونمو العظام — كذلك نطلق على الرغبة التي يعين غرضها الفرق بين الجنسين اسم « الرغبة الجنسية » . وعلى هذا فان الرغبة الجنسية ،

في هذا المعنى، تتراوح بين رغبة الرجل او المرأة في الاجتماع باشخاص من الجنس الآخر على مائدة الشاي، وبين الرغبة الملحة في الاتصال الجنسي. وكلا هذين الطرفين يمثل رغبةً في التحريك المتبادَل، بالاشتراك مع فردٍ من الجنس الآخر، بطريقة لا نرغب في اصطناعها بسبيل الاتصال بافراد جنسنا عينه. وهذه الرغبة تنشأ عن فروق جنسية. وبسبيل التوضيح سنقتبس من تحليل دانلاب قسماً آخر: فالرغبة الجنسية، عنده، ذات أشكال ثلاثة:

(١) الرغبة الشخصيةُ العمومية: «قد يكونُ رجل (او امرأة) مهتماً باشخاصٍ من الجنس الآخر، دون أن يختار شخصاً معيناً يرغبُ فيه اكثر من رغبته في الآخرين جميعاً». وتلك هي الرغبةُ في جماعةٍ من الاشخاص من الجنس الآخر، بسبيل الاغراء المتبادل بالاتصال الاجتماعي بهم. يعني أن الفرد لا يرغبُ في الاغراء الذي ينشأ عن الاتصال الاجتماعي باشخاصٍ من الجنس الاخر، بل يرغب كذلك في أن يتأثروا هم به. ولسنا بحاجة إلى أن نبين أن إدراكه لتأثرهم به يزيد في قيمة الاغراء الذي يختبره هو. إن الرغبات التي هي من هذا النوع تُشبَعُ عن طريق الوان النشاط الاجتماعي، من مثل المحادثة، والمشي، والرقص، والالعاب والمباريات.

(٢) الرغبة الشخصية الخصوصية: يُركّزُ هذا الشكلُ من الرغبة في فردٍ معيّن، ويؤدي إلى شكل أسمى من الرضا. وهو يتمثل في الفرد الذي «يحب». إن رغبات المحب الشخصية هي في المحبوب، وإن مجتمعها (أو مجتمعه)، واغراءَها، والتأثيرات المشتركة، والنشاط المشترك معها، هي دون غيرها الرغباتُ التي يفضلها المحبّ

وبؤثرها » . ومن هنا لا تعود بالرجل المحب حباً حقيقياً رغبـةٌ في أي امرأةٍ من النساء ، بل في امرأة بعينها .

(٣) الرغبة الجنسية المعينة : وهي الرغبة في الاتصال الجنسي قبل كل شيء . إن الاتصال الجنسي ، والتفاصيل التي تتعلق بـه ، تتمركز في الوعي . و « الرغبات المغرية ، ورغبات النشاط المشترك ليست الا اموراً تفضي ،بفعاليةٍ مابعدها،الى إتمام الاتصال الجنسي».

وهذه النماذج الثلاثة من الرغبة الجنسية لا يمكن ، من الناحيـة العمليه ، ان تبقى في حدود هذه التعاريف التي أثبتناها في الفقرات السابقة ، ولكنها تتداخل فيما بينها في مراحل عديدة . فنحن نجـد بين الطرف الاقصى الاول ، يعني الرغبة الشخصية العمومية ، وبين الطرف الاقصى الثاني ، يعني الرغبة الشخصية الخصوصية ، سلسلةً كاملة تمتد من الرغبة التي تجد رضاها في معاشرة فردٍ من نموذج مـا معاشرة عامة — هذا الرضا الذي يمكن أن يقدّمُه أيما فرد من أفراد النموذج عينه — إلى التخصيص التام إلى أبعد الحدود، والذي يتمثل في الفرد المحب المفتون . كذلك« فان الرغبة الشخصيّة تميل ظلالها، تدريجياً ، إلى الرغبة الجنسية المعينة ، والعكس بالعكس ، بطريقة مؤقتة . و كثيراً ما تبدأ الرغبة المخصوصـــة في الشكل الشخصي ، وتنمو مع الزمن إلى الشكل المعيّن ، كما أنه ليس بالنادر ان تنمو الرغبة التي تبدأ بشكل رغبة معينةٍ ، نسبياً ، في فردٍ مـــا ، مع الزمن إلى رغبة شخصية شاملة » . والنقطة التي نود أن يلاحظهـــا القارىء بصورة خاصة هي ان الرغبة الجنسية ذات أفق واسع يشتمل جميع الدوافع الفيزيولوجية والانفعالية نحو الجنس الآخر ، هـــذه

الدوافع التي تنشأ عن الفروق بين الرجال والنساء. إنها تعتنق انفعالات الصداقة والحب بين الجنسين جميعاً.

ونحب أن نؤكد هنا الحقيقةَ القائلة بان اشكال الرغبة الجنسية التي اتينا على ذكرها تُظهر نفسها بطرق مختلفة في الرجال والنساء، وان لهذه الفروق في الظهور أهميةً عظمى في تأثيرها في التعديلات الزوجية. وسنبحث فيما يلي هذه الفروقَ ببعض التفصيل:

١ - يعتبر دانلاب أن اهم فرقٍ جنسي في الرغبة هو انها في الرجل أقرب الى ان تكون وحيدة الشكل، وأنها في النساء اكثر اختلافاً وتنوعاً. وفي حين أن هناك اختلافاتٍ فردية بين الرجال، وأن أفراداً قلائل قد يختلفون اختلافاً كبيراً عن النموذج العام، فان الاكثرية الساحقة من الرجال لا يختلف بعضهم عن بعض، من حيث نموذجُ الرغبة الجنسية، الا اختلافاً جزئياً، مهما كان اختلافهم في إرضائها وإشباعها كبيراً. أما في النساء فان مدى التباين والاختلاف أوسع، وان الشقة بين الطرفين لأشدّ بعداً.

ب النساء ا

د الرجال ج

ونحن نستطيع ان نوضح هذه النقطة التي تتعلق بالقدرة والاستجابة الجنسيتين بواسطة الرسم الذي تراه فوق هذا الكلام. ولنقل ان الخط الممتد من نقطة (أ) إلى نقطة (ب) يمثل مدى الاختلاف في النساء، ولنضع عند نقطة (أ) المرأة التي يمكن ان نسميها بحقٍ «باردة»، والتي هي فاقدة للشعور الجنسيّ فطرياً، وعند نقطة

(ب) المرأة المصابة بشراهة النكاح ، والتي لا يمكن ان تُشبع رغباتها الجنسية او تُرضى . وبين هاتين النقطتين اللتين تمثلان نموذجين متطرفين متناقضين ، كلاهما نادر لحسن الحظ ، نجد مدى واسعاً من القدرة والاستجابة اللتين تختلفان قوة وضعفاً باختلاف النساء . ولو اننا أردنا أن نمثّل على الخط نفسه مدى الاختلاف في الرجال ، إذن لوضعنا الرجل البارد فطرياً عند نقطة (ج) ، والرجل المصاب بالشبق والانعاظ الدائم عند نقطة (د) .

ويجب ان نلاحظ أنه ليس هناك في النساء مدى أوسع بكثير نحو البرودة الجنسية فحسب ، بل إن هناك فيهن مدى اوسع نحو القدرة على الشهوة اكثر مما في الرجال . يقول دانلاب : « يجب ان لا يُظن انّ رغبات الرجال الجنسيــة هي ، في المتوسّط ، أشد واقوى من رغبات النساء الجنسية ، ولو أن احوال الأثارة والتهييج قد تختلف وتتباين . ومن الممكن كذلك أن يكون الأمر عــلى عكس ما يُظنّ ، اي أن تكون الرغبات الجنسية عند النساء أقوى منها عند الرجال . كما أنه ليس من شك في ان للرغبات الجنسية عند كثيراتٍ من النساء ، إذا ما اثيرت إثارةً تامةً كاملة ، قوةً تفوق قوة الرغبات الجنسية عند الرجل العادي » .

وهكذا يتضح للقارىء أن الفروق التي فرغنا من الاشارة اليها بين الرجال والنساء تخلق من نفسها مشاكل التعديل الجنسي . لنفرض أن رجلا تقع قوة رغبته الجنسية عند نقطة « د » -يعني رجلاً مصاباً بالشبق والانعاظ الدائم - يتزوج امرأة تقع قوة رغبتها الجنسية في منتصف الطريق بين نقطتي (أ) و (ج) . إن حالةً كهذه تظهر

بوضوح المشكلة التي يواجهها الزوجان في تحقيق علاقــات جنسية متناغمة مرضية لهما معاً . ومهما يكن من شيء فان المعرفة بالطبيعة الجنسية البشرية معرفة عاقلة كافية ، والعلاقة الحبية الحاذقة المجردة من الانانية ، خليقتان بأن تؤديا بالزوجين إلى التعـديل المُرضي المشترك . بيد أن الجهل ، وقلة الحذق ، وعدم التبصّر ، لا يمكن أن تنتهي بمثل هذا الزواج إلا إلى الاخفاق والفشل . ومن جهـة اخرى فان زواج امرأة تقع قوة رغبتها الجنسية في منتصف الطريق بين نقطتي « د » و « ب » ، من رجل تقع قوة رغبته الجنسية عند نقطة « ج » يعكس المشكلة .

٢ - « ان الرغبة الجنسية في الرجل كثيراً ما تكون موجودة بشكل « معين » الى حد بعيد ، دون ايما تخصيص ، وبحد ادنى من الرغبة الشخصية العمومية » . وهذا يعني ان التهيج الجنسيّ ، او الشهوة الجسدية في الرجال كثيراً ما تنشآن تلقائياً ، ومن غير ما حاجة الى المؤثر الذي يأتي من النساء عامة ، أو من معاشرة امرأة معينة تنحصر الرغبة فيها . قد ينشآن، مثلاً ، كنتيجة لعمل الافراز الداخلي الذي تقوم به الخصيتان . وهذه الافرازات تُحدث، بصورة تدريجية ، توتراً فسيولوجياً قد يؤدّي ، في اية لحظة ، الى تهيـج شهوي واعٍ عن طريق الاجتماع بالجنس الآخر .

واحتمال ظهور الرغبة المعينـة في النساء أقل إلا اذا نشأت عن الشكل الشخصي المخصوص . والحق أنها نادراً ما تنشأ-او لا تنشأ ابداً -في كثير من النساء باية طريقة اخرى. وهذا يعني ان الرغبة في الجماع تنشأ في النساء ، بصورة اعم الى حد بعيد ، عن طريق الاجتماع

الشخصي بافراد الجنس الاخر . وفي حين ان الافراز الداخلي الذي ينتجه المبيضان كذلك يحدث توتراً جنسياً في النساء ، فانه ، على الجملة ، اكثر انتشاراً وتشعباً ، واقل تركزاً في الاعضاء التناسلية منه في الرجال ، فهو لهذا لا يؤدي كثيراً – كما هو الحال في الرجال – الى رغبة وتهيج معينين .

« ان الرغبة الشخصية في الرجال تتحول في يسر وسرعة كبيرين الى الشكل المعيّن ، دون ان يكون هناك حاجة الى الوان من النشاط تتوسّطها ، كالمغازلة مثلاً » . وهذا يعني ان التأثير النفسي المكتسب من الاتصال الاجتماعي العام بالنساء او بأمرأة معيّنة قد ينشيء بسهولة وسرعة رغبةً جنسية معينة .

اما في النساء « فان الرغبة الشخصية لا تتحول بمثل هذه الالية الى الشكل المعيّن ، ولكنها تتطلب وساطة التأثير الذي اشرنا اليه – تأثير المغازلة – . ويجب ان يكون للمرأة ، في حالات كثيرة ، رغبة شخصية في الرجل ، تنطوي آخر الامر على انْ تتأثر به من جانب اللمس والحركة . وهذه الاغراءات هي التي تثير الرغبة المعيّنة » . ولسنا في حاجة الى القول بأن تفهم هذا الفرق ، وتكييفه في الوصول الى الرغبة الجنسية المعينة في العلاقة الزوجية امرٌ في غاية الخطورة والاهمية . وسنرى فيما بعد ان كثيراً من الازواج والزوجات الذين يدخلون محراب الحياة الزوجية وكلهم أمل في أن يحيوا حياة حافلة بالنعيم والسعادة ، إنما تتحطم آمالهم في هذا النعيم وهذه السعادة على صخرة الجهل بهذا الفرق ، اكثر مما تتحطم على اية صخرة اخرى !

٤ – يختلف الرجال والنساء ، على العموم ، اختلافاً كبيراً في الوقت الذي يتطلبه بلوغ القمة الشهوية في الجماع (الانزال) فالقسم الاعظم من النساء يتطلبن اطالة في الاتصال الجنسي اكثر مما يتطلب القسم الاعظم من الرجال إلى حد بعيـــد . فاذا انتهى الرجل الى الانزال حالا او بعدَ مضي دقيقة او دقيقتين على مبـــاشرة العمل الجنسي ، وكانت المرأة ، من ناحية اخرى ، لا تستطيع بلوغ هذه الغاية الا بعد عشر دقائق او خمس عشرة دقيقة ،فان مشكلة التعديل قد تكون هائلة مريعة . ولكن التفهّم ، والفن الحاذق في الحب ، والتبصر ، والاناة ، كل اولئك جدير ، في معظم الحالات ، بان يأتي بالعجب ! انّ الصخرة التي تتمثل في هذا الفرق المؤقت بين النساء والرجال ،من حيث الطبيعة الجنسية ، والصخرة التي سبق منا ذكرها في الفقرة السابقة ، توأمان . وهي خليقة كذلك بأن تحطم سعادة كثير من الازواج ، اذا لم يتفادوا الاصطدام بها .

٥ – نادراً ما يخسر الرجل الرغبة العامة لفترات طويـــلة من الوقت . ولكنه ، إبان القسم الاعظم من حياته ، مهما حاول ان يخصّ امرأة بحبه ، يكون « سريع التأثر » بالنساء بوجه عام . أمـا عندما تصبح رغبة المرأة الشخصية مخصّصة ، ولو ان الرغبة العامـة نادراً ما تُفقد بالكلية ، فتتدنّى او تنقص ، بصورة أوضحَ ممـا تتدنى او تنقص في الرجل .

ويقول دانلاب ، في معرض وصفه طبيعة المرأة الجنسيـــة : « ينطبق هذا الوصفُ على طبقة معينة من النساء فحسب ، ولو انّ هذه الطبقة ربما كانت تضمّ اكثريتهن . وهناك اخريات هنّ ، من

حيث انموذجهن ، شبيهات بالرجل العادي ، كما ان هناك اخريات ليس فيهن اية رغبة معينة : وهي حالة نادراً ما يختبرها الرجل إلا اذا كان ناقصاً ، عقلياً او فيزيولوجياً ، أو كان مصاباً بمرض خطير . وبين هذين الطرفين المتناقضين تتراوح النماذج الانثوية جميعاً .

٦ – تختلف الرغبة الجنسيـــة في القسم الاعظم من النساء في الدور الطمثي قوة وضعفاً . ففي اوقات معينة من هـــذا الدّوْر يكون من السهل ان تتهيج المرأة جنسياً اكثر من اي وقت آخر ، وقد تنشأ الرغبة المعينة عندها بصورة تلقائية ، ومن غيرمـــا مؤثر خارجي . ان هناك مداً وجزراً في الرغبة الجنسية هما في بعض النساء من الوضوح والانتظام بحيث يستطعن ان يُعَيِّنّ تاريخها ، بالنسبة إلى الطمث ، في حين ان نساء اخريات يلحظن في انفسهن هذا التفاوت الدوريّ في الرغبة الجنسية ، ولكنّهن لا يشعرن بأن هذه الأدوار تأتي بانتظام . وهناك نساء اخريات لا يميّزْن ايـــة « دورية » على الاطلاق .

وفي حين ان حدوث قمة الرغبة الدورية في اولئك النساء اللواتي يميزنها يمكن ان يتم في ايما فترة من الشهر الطمثي الذي تبلغ عدته ثمانية وعشرين يوماً ، فانه يتم ، في الاكثرية الساحقة من النساء ، في دور الطمث او حواليه : يعني قبله ببضعة ايام ، او اثناءه ، او بعده ببضعة ايام ، او قبله واثناءه ، او اثناءه وبعده ، او قبله واثناءه وبعـــده .

وعندما درس دافيس Davis تاريخَ الفٍ من النساء غير المتزوجات اعترفن جميعاً ، الا ١٣٢ منهن ، بالمشاعر الجنسية ، والرغبـــات

الجنسية ، او بشكلٍ ما من اشكال التعبير الجنسي . ومن بين الـ ٨٦٨ امرأة اللواتي يعترفن بهذا ، ميّزت ٢٧٢ منهن « دورية » منتظمة في الرغبة الجنسية ، ومن هؤلاء مئة وعشر نساء يستطعن ان يُعيّنّ تاريخها بضبط كبير . ولقد قرّر ٢٩٨ امرأة منهن انهن يختبرن الرغبة دورياً ولكن دونما انتظام ، كما ان ٢٣٨ امرأة لم يلاحظن ايما دورية في الرغبة . ويقول الدكتور دافيس ان نصف هؤلاء النساء الذين استطعن ان يُعيّنّ – بصورة قاطعة – اليومَ الذي تبلغ فيه رَغبتهن أوجها قد اختبرن ، فيما يلي من الشهر، رغبة اضعف .

والحقيقةُ المهمة فيما يتعلق بالتعديل السعيد في الزواج هي ان معظم النساء يختبرن دورية شهرية طبيعية من الاستجابة للتأثير الجنسي . فقد تستجيب المرأة بشوق وتتهيج بسهولة عندما تكون في ذروة رغبتها ، وقد تكون غير مباليةٍ او باردةً او بطيئة التهيج عندما تكون رغبتها هذه في حالة جَزر . وهذا لا يعني أن الجماع التامّ المُرْضي للزوجين معاً لا يمكن ان يحقّق إبان هذا الجزر ، ولكنه يعني في الحق ان تقرّب الزوج وفنّهُ ، ومغازلتهما المتبادلة ، يجب أن تُكيّف حسب الحالة الفيزيولوجية ، والمزاج النفسي المقابل. وفي حين ان مقدرات المرأة الجنسية لا تتغير إبان جَزر الرغبة ، فان شروطَ إهاجتها لا شك تتغير . فهي تتطلب في هذه الحالةِ تودّداً من درجةٍ ونوع مختلفين. ومن الأرجح أن تكون الطريقة المباشرة ، وحتى الجافة ، التي يلجأ اليها الزوج في التقرب من زوجته ، والتي قد تكون ذات فعاليّة في الزوجة عندما تكون رغبتها الجنسية

في اوج شدتها ، نقول من الأرجح أن تكون هذه الطريقة عديمة الجدوى إبان جزرها ، وقد تكون خطراً على التناغم الزوجي . والصلات الجنسية التي لا تُعدّ المرأةُ للاشتراك فيها اشتراكاً قلبياً لا تصبح خبرة تبعث على اللامبالاة والبرودة فحسب ، بل تميل الى أن تصبح اهانة لكيانها كله وانتهاكاً لحرمته . إن قلة الاستجابة الجسدية تؤدي الى ضياع الالفة الروحية ، هذه الالفة التي بدونها يرتدي الجماع طابعاً خطِراً . انه يهدد بانشاء اتجاه سلبي في المرأة لا يكون تهيُجبا الانفعالي الذي يصاحبه مع زوجها بل ضده . ومن المحتمل ان يؤدي مثل هذا الاتجاه ، مع الزمن ، الى أن يُحبط استجابة المرأة الشديدة لزوجها حتى عندما تكون رغبتها الجنسية في اوج قوتها ، وأن ينتهي بها الى الفراق التام . والواقع ان الخبط الجاهل الاناني في هذه النقطة هو الذي يحمل الى اصحابه الواناً من خيبة الامل ، والنفرة ، والانزعاج الاليم التي تضج بها حيوات الناس في كل مكان .

والتعديل السعيد ، فيما يتعلق بهذا ، يتطلب تفهماً مشتركاً وتبصراً مشتركا ، وتعلماً مشتركاً لفن الحب .

ولقد سعى بعضهم الى اكتشاف دورية جنسية في الرجال شبيهة ، الى حدٍ ما ، بالدورية الجنسية في النساء ، بيد أنه ليس هنالك ، حتى الان ، اي برهان يؤيد وجهة نظر كهذه .

٧ – هناك فرق بين الرجال والنساء عظيم الخطورة . وهو أن الرجال عند بلوغهم النضج الجنسي في المراهقة المبكرة ينتهون دائماً الى ان يمتلكوا امتلاكاً كاملاً مقدراتهم الجنسية ، فلايتطلبون خبرة

جنسية بسبيل إنماء هذه القوى . في حين ان دانلاب يقول : « ان نمو الرغبة الجنسية في المرأة هو مسألة تهذيب وتثقيف ، عن طريق التأثير الجنسي والخبرة الجنسية ، الى حد ابعد مما هو عليه في الرجل. وتكون الرغبةُ ، في كثير من النساء ، ضئيلةً ضعيفةً حتى تنمو بواسطة المؤثرات والخبرات المتكررة ، ويمكن، بعدها ، أن تصبح قويةً من السهل اليسير اهاجتها . ومن ناحية اخرى فان الرغبة لا تنمو ، في كثيرات اخريات ، الى مستوى عـــال جداً ، حتى ولو مضى على زواجهن اعوام عديدة، ويصبح الاتصال الجنسي لبعضهن، آخر الامر ، كريهاً يبعث على الاشمئزاز والضيق . ولقد كانت مُلابَسات الاتصال الجنسي ، ولا تزال ، في معظم هذه الحالات ، شاذة بسببٍ من فقدان الأوضاع النفسية الملائمة . وكثيراً مايكون مَردّ هذا الفقدان الى جهل الزوج المطبق » . وهذه الحالة كثيراً ما تظهر واضحةً الأمثلة التي جمعها ديكنس Dickinson وهاملتون Hamilton ودافيس Davis من تاريخ العائلات . إنهم يقدمون عدداً من الحالات المحزنة التي لم تُتح فيها الفرصةُ لمقدرات المرأة الجنسية، مع وجودها ، كما تدل الأمثلة،لأن تنطلق وأن تنمو في جماع الزوج، بسبب من جهلها وطرقها الخرقاء ، هذه الجهالة وهـذه الطرق التي يزيد التقليد و « التحريم » في خطورتها .

ويدل الاختبار على ان النتيجة العامة لهذا هو ان الزوجة لا تُسهم في الخبرة الجنسية الكاملة ، وانها ، قبل مضي وقت طويل ، تتحول بسرعة من حالة السكون والانفعال او الاستجابة الجزئية الى اللامبالاة والسلبية التامـــة . ويتقبل الزوج هذه الخبرةَ غير

المتساوية بطريقة فلسفية ، في حين ان الزوجة تتقبّلها بطريقة ثورية. انها تعاني مشكلة الرغبة غير المُشبَعة .

وليس من شك في ان تمثّل (هضم) صلة جنسية كهذه تمثّلا سعيداً في مجموع الصلاتِ بين الزوج والزوجة يتطلب تركيباً نادراً من الصفات الشخصية والخلقية . وكما ألمعنا سابقاً ، فانه ليس هناك منجىً من انه في معظم الاحوال يجب ان تنتهي هذه الشقة الى ان تُباعد بين نواحٍ اخرى من حياتها ، وان يصبح الزواج « شقياً » ، ان لم ينتهِ الى ما هو أسوأ من الشقاء .

يذكر «هافلوك أليس » حالةَ امرأة اخفقت دائماً في اختبار قمة اللذة الشهوية في الجماع في بعض سني حياتها مع زوجها الاول، ثم مع زوجها الثاني . ولكن زوجها الثالث استطاع ان يصل بها الى هذه القمة بسرعة ، ومن ثم أنمت مقدرة جنسية قوية سوية.وهناك حالات مشابهة اخرى نقع عليها في الأحوال العائلية النموذجية .

ويجب ان تذكر النساء اللواتي هنّ على أهبة الزواج،والعرائس الشابات كذلك، ان مقدرات النساء الجنسية عرضةٌ للتثقيف والنمو عن طريق الاختبار . فاذا لاقت العروس الشابة خيبةً في حياتها الجنسية إبان الاسابيع او الأشهر الأولى من الزواج ، فليس من الضروري ان يكون لهذا اهمية كبرى . انه لا يتطلب في معظم الحالات سوى تحليل دقيق صحيح للعوامل المضادّة ، واستعمال عاقلٍ للعلاج الملائم باستمرارٍ وتعاون مشترك .

وبسبيل تلخيص الفروق الجنسية نستطيع ان نقول ان الرغبة الجنسية في الرجال مستوية غير متعثرة نوعاً ما ، وانها تقع قريباً

من السطح ، وانها تثار بسهولة وتُشبع بسرعة ، وان الرجل عرضة دائماً للرغبة الجنسية فى اشكالها جميعاً . أما في النساء فان الرغبة الجنسية تختلف شدة وضعفاً ، وتقع بعيـــداً عن السطح ، وتُثار وتُشبع ببطء اكبر . إنها عرضة في القسم الاعظم من النساء لمدّ وجزْر ، ولأن تنمو الى قوتها الكاملة عن طريق الاختبار. وسنبحث في الفصل التالي بتفصيل أكبر مشاكل التعديل التي تنشأ عن هذه الفروق وعن الجهل بها .

٣. العوامل الجنسية في عدم التوافق

•

سنبحث الآن العناصر التي تساعدُ اكثر من غيرها على عـــدم التوافق في الزواج، ذاكرين الفروق الجنسية التي سبق منا بحثها في الفصل السابق. وهذا البحث الذي سنشرع فيه الآن يمهد الطريق الى خلاصةٍ للعوامل الايجابية التي تجعل التحقيق بزواج مثالي سهلاً قريب المنال.

وفي رأيي أن اول العوامل في عدم التوافق هو الاتجـــاه العام الذي لا يزال يصطنعه الناس نحو الجنسية البشرية، هذا الاتجاه الذي يُنكر حاجات المرأة الجنسية وحقوقهـا. وفي حين أنّ «تحرّر» المرأة المطرد يصاحبه اليومَ تحسن واضح في التفهم والاتجـــاه فيما يتعلق بهذا، فان الاعتقاد الذي كان سائداً في العصور الوسطى وفي ما تلاها من العصور، والذي يزعم ان النشاط الجنسي وظيفة خاصة بالذكر من دون الانثى، وأن دور الانثى ابانَ ممارسته يبقى ساكناً منفعلاً، أقول انّ هذا الاعتقاد لم يضمحلّ حتى الان، ولن يضمحل بسهولة. ومن كل الابحاث التي نرجع اليها يظهر ان جهل الذكر وعدم اعتباره لمقدرات المرأة وحاجاتها الجنسية هو عامل رئيسيٌ في برودة النساء الظاهرة، وفي عدم التوافق الذي ينشأ عن الصلات

الجنسية غير المتساوية . ولقد سبقت منا الاشارة الى هذا الخطأ الاساسي ، وأظهرنا كذلك أن حاجات المرأة الجنسية هي ، بالرغم من مظاهرها المختلفة ، شبيهة ٌ تماماً بحاجات الرجل الجنسية . انّ الانفعالية المستمرة واحباط الاستجابة في الجماع هما انتهاك لحرمة طبيعة المرأة البيولوجية ، وهما يؤديان ، ككل انتهاك آخر لحرمة الطبيعة ، الى ما لا يحصى من النتائج السيئة . انهما ، قبل كل شيء ، يؤذيان صحة المرأة الجسدية والانفعالية وتوازنها . يقول هاملتون Hamilton : « أعتقد أن من أعظم الاكتشافات التي وقفتُ عليها من ابحاثي التي قمت بها هو أن عشرين من الستّ والاربعين امرأة اللواتي ليست لهنّ القدرة على بلوغ قمة اللذة الشهوية في الجماع كان قد أثبت التحليل ، في وقتٍ ما من حياتهن ، أنهنّ مصاباتٌ بعُصاب الحصر النفسي الى درجة خطيرة . كذلك ثبت عندي أنّ امرأة واحدة فقط من بين الخمس والاربعين امرأة اللواتي كان يتسنى لهن بلوغ قمة اللذة الشهوية في الجماع قد أثبت التحليل أنها كانت مصابة بعصاب الحصر النفسي » . ويضيف هاملتون ، بتحفظ العالِم :

« ومع أن عدم القدرة على بلوغ قمة اللذة الشهوية في الجماع ، والاعراض العصبية الخطيرة الى حدٍ كبيرٍ أو صغير ، يحدثان معاً بكثرةٍ مفرطة ، فاننا لا نستطيع أن نعتبر أن أحدهما هو نتيجة للآخر . انّ عدمَ الاكتفاء الجنسي بصورة مزمنةٍ قد يزيــدُ في الاعراض العصبية ، أو يُعجّل في ظهورها ، ولكنّ الادلة تدعم الرأي الذي يقولُ بانه يجب أن يُنظر الى عصاب الحصر النفسي ، وعدم القدرة

على بلوغ قمة اللذة الشهوية في الجماع، اذا ما أصاب امرأة ما في وقت واحد ، كنتيجتين لسببٍ واحد مشترك » . ومهما يكن من أمر ، فليس هناك منجىً من أن نستنتج أن الجنسية المحبطــة في النساء باستمرار هي عامل قويٌ في تعجيل ظهور الاضطرابات العصابيــة النفسية ، إن لم يكن في إحداثها . نحن لا نرثُ الجنونَ ، ولكننا نرث فقط استعداداً سابقاً لعدم التوازن العقلي . وهذا لا يعني أن الجنون يجب أن ينتج ، ولكنـــه يعني فقط أن ظروف العيش المعاكسة في حياة شخص كهذا قد تجعل الميزان يميل نحو الاضطراب العقلي ، في حين يمكن لهذا الشخص نفسه ان يحتفظ بتوازنه السوي في ظروف من العيش أكثر ملاءمة . وهذا المبدأ نفسه يصحّ في الاشكال الاخرى من الاضطرابات العصابية النفسية . ولقد اظهر Dickinson أن جميع النساء ، تقريباً ، اللواتي لم يكنّ يختبرن قمة اللذة الشهوية في الجماع ، كنّ يملكن قوى شهوية كامنة ،ولكن هذه القوى حيل بينها وبين التحقيق عن طريق ظروف واحوال كان بالامكان تفاديها في معظم الحالات. وان باستطاعة المرء أن يفترض، على ضوء الاختبار الذي كشف عنه تاريخ حياة الكثيرات من النساء، أنه لو كانت ظروف الجماع وملابساته أكثر ملاءمة ، لتحققت نسبة كبيرة من النساء ، اللواتي ذكرهنّ هاملتون ، بالرضـا الجنسي ، ولتحسّنت صحتهنّ .

إن عدم تقدير حاجات المرأة وحقوقها الجنسية التقديرَ الحق هو من اكبر العوامل التي تهدد الحب والتناغم الزوجيين . فالجماع ، في هذه الحالات ، يصبح عملاً انانياً بالنسبة الى الزوج ، ويضطر رغبة

الزوجة الجنسية الى أن تتمركز ، بدورها ، في ذات نفسها ، بدلاً من ان يكون عملاً يساعدُ على الألفة الشديدة بين الزوجين، وينمي الحب بينهما . يقول هاريس Harris [1] : « اذا كان كل من الزوجين يسعى الى ارضاء نفسه على حساب الآخر ، فان عقدة المحبة والألفة بينهما سريعاً ما تنحلّ . وهكذا نرى ان الرجال انما يصدّعون بناء الحب ، ويهدمونه ، عن طريق انانيتهم وجهلهم » . ويقول ايضاً : « ان الرجال والنساء لا يدركون ان هذه الناحيةمن نواحي حياتهم المشتركة هي جزء لا يتجزأ من نواحيها الأخرى جميعاً . فالصلة الجنسية لا تكون جزءاً من الشركة الزوجية الا اذا كانت خبرة تقاسمها الزوجان بصدق واخلاص . ولكن ماذا نقصد بمقاسمة الاختبار الجنسي؟ نقصد بذلك ان الاختبار كلّه—من الخطوةالأولى في المداعبة والملاطفة الى قمة الاتصال الجنسي — يجب ان يعني ، بالضرورة الشيء نفسه لكلٍ من الزوجين، كما يجب ان ينتهيبرضاهما الجنسي التام . ان جميع سلسلة الاتصالات الجنسية يجب ان تحمل خبرة الحب والابتهاج المتجسمة الى كل من الرجل والمرأة . وان أولى مقتضيات الحياة الغرامية المرضية للزوجين معاً هي أن يتقبل كل منهما تقبلاً تاماً صريحاً حاجاتِ الآخر وقواه الجنسية . يقول أليس Ellis : « إن النساء اللواتي لم تنحرف غرائزهن عند جذورها لا يرغبن في ان يكنّ باردات لامباليات . والحق انهن بعيدات كل البعد عن ان يرغبن في هذه البرودة واللامبالاة . ولكنّ إزالة البرودة تتطلب الجوّ الملائم الصالح ، كما تتطلب حذق الرجل الملائم

(١) صاحب كتاب Essays on Marriage

الصالح وتبصره . فالمرأة ، من الناحية الشهوية، لا تطلب من الرجل اكثر من ان يرفعها فوق برودتها ، الى اوج أعلى ، حيث الرغبة المشتركة ، والمتعة المتبادلة في عمل الحب » .

وهناك عامل آخر من اكثر العوامل الشائعة في عدم التوافق الزوجي ، وهو محاولة الزوج الاتصالَ الجنسي بزوجته بطريقة مباشرة ، أو جسدية مجرّدة . فلكي يكون كل اتصال جنسيّ عملاً ذا اهمية روحية ، عملاً ينتهي بكل من الزوجين إلى الرضا والمتعة التامّين ، يجب ان تسبقه فترةٌ من المغازلة والمداعبة . انه يتطلب ما اصطلح « هافلوك ألِيس» على تسميته « وظيفة اللعب في الجنس » . والحق ان الصلات الجنسية البشرية لا تعني اتحاداً بين جسمين فحسب، بل اتحاداً بين شخصيتين . ومن هنا كان هناك اولا حاجةٌ الى اتحاد في المزاج الانفعالي ، قبل ان يكون هناك اي اتحادٍ جسمي حيوي لكل من الزوجين .

وانه لخطأ فادح ان يعتقد الأزواج أنه ليس هناك ضررٌ ما من الاقلاع عن المغازلة والمداعبة عند الزواج أو بعده بمدة وجيزة . انهم ان فعلوا ، فقد الزواج « رومانسيّته » العذبة . وان زواجاً كهذا لا يلبث ان ينتهي الى الاخفاق ، وان يجعل الحياة في نظر الزوجين غير جديرة بان تعاش . فالمغازلة والمداعبة والملاطفة بين الزوجين يجب ان تسود علاقتهما الزوجية . فهي ، غير شك ، تجدد الحمية والنشاط في الحياة من يومٍ الى آخر . وان صلة كهذه خليقةٌ بانْ تُبقي على جذوة الحب في الزوجين متأججة حتى الخامسة والسبعين من عمرهما ، وأن تجعل كلاً منهما يُكنّ للآخر حباً شديداً ما

عرفه في الخامسة والعشرين . ولكن سواء أتحقق هذا المثل الاعلى في الصلة كلها أم لم يتحقق ، فأن المغازلة التي تسبق الجماع ، والتي يلعب فيها كل من الزوجين دوره ، امرٌ اساسي . وهذه المقدمة يمكن ان تكون قصيرة أو طويلة بحسب مزاج كل من الزوجين وحاجاته ، وبخاصة مزاج الزوجة وحاجاتها .

ان بعض الكتاب يرتكبون ، في منشوراتهم التي طلعوا بها علينا حديثاً ، خطأً فادحاً . فهم يعتقدون ان المغازلة التي يجب ان تسبق الاتصال الجنسي هي من خصائص الزوج ومسؤولياته وحده. وهم يعتقدون كذلك أن هذه المغازلة انما تقوم ، قبل كل شيء ، على عملية آلية لأثارة المرأة عن طريق مداعبة مناطقها الشهوية . وانا اكرر أن هذا خطأ فادح . ان هذه الاثارة يجب أن يقوم بها الطرفان ، فالصلة الجنسية كلها ، من اللمسة أو القبلة الاولى الى الراحة التي تعقب بلوغ القمة الشهوية في الجماع ، يجب ان تكون عملاً مشتركاً متبادلا .

وهناك سببان مهمان لهذا اللعب وهذه المغازلة اللذين يسبقان الجماع . فالأول ناشيء عن الفروق الجنسية التي سبق ان بحثناها في في الفصل السابق . فلقد رأينا أن الرغبة الشخصية في الرجل تتحوّل بسرعة وسهولة الى رغبة معينة ، وأن التهيج الجنسيّ يمكن ان يحدث عنده تلقائياً ، يعني دون ان يحتاج الى واسطة لاثارته واغرائه . انه على استعداد سريع جسدياً وانفعالياً ، للقيام بالاتصال الجنسي ، حتى الخامسة والخمسين أو الستين من عمره على الأقل ، في حين أن معظم النساء ، من ناحية اخرى ، يتطلبن — الى حد كبير او صغير ، اثارة واغراء — انفعاليين او جسديين أو كليهما — لايقاظ الرغبة المعينة

وتنميتها . انّ نقطة الاستعداد التي قد يصل اليها الرجل حالا أو سريعاً ، يجب أن تصل اليها المرأة عن طريق غير مباشر من خلال كيانها النفساني الجسديّ ، وهو طريق يجب أن لا تجتـــازه المرأة وحدها ، بل بمساعدة مغازلة زوجها اللطيفة المثيرة .

والفرق الجنسي الثاني الذي له علاقة بهذا هو أن معظم النساء ، حتى بعد فترة كافية من اللعب والمغازلة اللذين يسبقان الجماع ، يتطلبن ، لبلوغ قمة اللذة الشهوية في الجماع ، وقتاً اكبر مما يتطلبه الرجل .

وإذن فان إمكانيات حصول المرأة على الرضا الجنسي ، إذا لم تسبق الجماعَ المداعبةُ والمغازلة، تصبح ضئيلة في كثيرٍ من الحالات. والذي لا شك فيه أنّ هناك دائماً حاجة الى ان يحـــاول الزوج والزوجة الوصول الى قمة اللذة الشهوية في وقت واحد .

والذي يحدث بكثرة واستمرارٍ عجيبين ، حسبما تدل الابحاث الحديثة ، هو ما يلي : تقوم بين الزوجين علاقةٌ جنسيةٌ آلية أساسها، في معظم الحالات ، رغبات الزوج وحاجاته . فليس هناك مقدمات ولا مداعبات تسبق الاتصال الجنسيّ . ومع أن الزوجة قد تكون محبة لزوجها عَطوفة عليه ، فانها تقوم بالاتصال الجنسي معه دون أن تكون على استعداد ، انفعالياً وجسدياً . اما الرجل فيجب ان يكون على استعداد ، وإلا فان من المستحيل أن يكون هناك مثل هذا الاتصال . وليس الحال كذلك في المرأة . ويصل الرجل الى قمة اللذة الشهوية بسرعة ، وينتهي كل شيء . أما المرأة فلا تستطيع في مثل هذه الحال انْ تقع على الرضا الجنسي التام الذي وقع عليه الرجل . والأسوأ من هذا أنها تكون قد أثيرت جزئياً ، ولكنهـا

«تركت في الهواء» . إنها لا تستطيع ان تصل الى النقطة الطبيعية التي من حقها الوصول اليها ، والتي هي بحاجة اليها أشد الحاجة . فماذا هو ردّ الفعل الطبيعي ؟ إنه استرخاء الرجل واستغراقه في النوم . ولكنّ هذا الاسترخاء الروحي والجسدي يجب أن يستمتع به كلاهما . فالحق أنه ليس هناك ، في كثير من الاحوال ، لحظات ذات أهمية روحية في علاقات الزوجين المحبين اكبر من تلك اللحظات التي يجد الحب فيها طريقهُ الى التعبير ، ويستريح كل منهما ، جسماً وروحاً ، في ذراعي صاحبه . بيد أن الحالة في المرأة على غير هذا . إنها قد تنامُ هي ايضاً اذا كانت قد بقيت باردة لا مبالية إبان الاتصال الجنسي ، ولكنها ، اذا ما أثيرت ولم يتسنّ لها الرضا الجنسي ، قد تبقى مستيقظة الساعاتِ الطوال ، أو الليل كله احياناً ، مصابة بالتوتر والتهيّج ، الا اذا عمدت الى الوصول الى قمة اللذة الشهوية بنفسها . ولسنا في حاجة ، لكي نتصور حقيقة الموقف ، الا ان نتخيل كيف ان الرجل ، بعد ان ارضى حاجته الجنسية ، يستغرق في سبات عميق ، في حين تتمدد المرأة الى جانبه وهي من التوتر والشوق بحيث تندفع الى ممارسة العادة السرية. عندئذ يمكننا ان ندرك انه لن يمضي على مثل هذه الزوجة وقت طويل حتى يُفلت من بين شفتيها في هدوء الليل مثل هذه الكلمات : «وحش» ، «حيوان» ، «احمق» ، وغيرها ، وان تلك الخيبة الاساسية لا بدّ ان تؤدي بها الى التنافر ، وعدم التناغم .

يقول «أليس» في كلامه على حياة الرجل العادي الجنسية في مجتمعنا : «كلما تعمقنا في درس حالة الرجل العادي في مجتمعنا زاد اقتناعنا

بأن ما يفهمه بالشخصية الشهوية ، وآراءه في فن الحب ، اذا كان له اي رأي فيه ، هي ذات صفة ٍ وضيعة . اما فيما يتعلق باللعب والمداعبة اللذين يسبقان الاتصال الجنسي ، حتى ولو قام بمحاولات خرقاء لممارستهما ، فهو يعتقد انهما شيء وضيع ، شيء يجب ان يخجل منه » . ويقول فيما يتعلق بالمرأة : « لننظر الى المرأة العادية . ان حالتها في الحق اسوأ من حالة الرجل . فمهما كان رأي الرجل في فن الحب ، اولياً غير مصقول ، فهو ينال في جميع الحالات الكبرياء الذهنيـــة ، والرضا الجسدي . ولكن المرأة كثيراً ما لا تنالهما . وليس هذا بباعث على العجب ، ذلك بأن الرجل قد تعلّق منذ القدم بالنزعة الى توكيـد الذات . فالغريزة البدائية والتقاليد القديمة تجعل الرجل يعتبر نفسه الشريك العامل في شؤون الحب ، وان لذته الخاصة هي ، شرعاً ، الدافع الرئيسي للنشاط والفعالية . وطبيعيٌ ان يكون وضع زوجته ، نتيجةً لهذا ، معاكساً لوضعه ، وان تعتبر نفسها الشريك المنفعل ، وان تنظر الى لذتها كشيء تافه لا اهمية له ، او انها تذهب الى ابعد من هذا فتعتبرها امراً مخجلاً ، اذا اختبرتها عن طريق الصدفة » .

وهناك شيء آخر يزيد في اهمية المداعبة التي تسبق الاتصـــال الجنسي ، وهو ان محاولة القيام بالجماع دون ان يسبقه اللعب والمداعبة كثيراً ما لا ينجح في ايقاظ قوى المرأة الشهوية . وليس هذا فحسب . فالحق ان محاولة كهذه لا شك في انها كريهة منفرةٌ لمعظم النساء ، وبخاصة اولئك اللواتي يتميّزن بطبيعة حساسة مصقولة . ان عـلى كل رجل ان لا يحاول الاتصال الجنسي بزوجته الا اذا ادرك انّ الطريق الى مصادر الشهوة العميقة في طبيعة المرأة الوجدانيـة يقود

الى اكثر المناطق حساسةً في عالمها الانفعالي .

إنّ الوصول الى الاتصال الجسدي يجب أن يتم عن طريق الاتصال الروحي . ذلك بأن الرجل إذا ما تودّد الى زوجته وداعبها وامتلكها ، روحياً ، أقبلت على الاتصال الجنسي بشوقٍ ورغبة . وليس يستطيع الرجل ان يتحقق ، بدوره ، بالمتعة الجنسية الحق ، إلا عن هذه الطريق .

وعلى ضوء هذه الحقائق يؤكد «أليس»، باسلوبه الرائع ، أهمية المداعبة التي تسبق الاتصال الجنسي فيقول : « انّ هناك ، كما نعلم ، وظيفتين اساسيتين في الصلة الجنسية ، أو ما نسميها ، بالمعنى البيولوجي « زواجاً » . الأولى هي الوظيفة الفسيولوجية الاوّلية : التناسل ، والثانية هي الوظيفة الثانوية الروحية : ترقية العمليات الذهنية والانفعالية العليا ومساعدتها ». وبسبيل تفسير هذه الوظيفة الثانوية يقول : « ان وظيفة اللعب في الجنس هي في الوقت نفسه ، وبصورة لا تنفصل ولا تتجزّأ ، جسميّة ونفسانية . إنها تحملُ جميع اجهزة الجسم المعقدة المتداخلة على النشاط المفيد الصالح كما انها ، في الوقت نفسه ، ترضي أعمق الدوافع الانفعالية ، وتضبطُ ،بتوازن تام ، الغرائز الذهنية المختلفة . ومن هنا تميل آخر الأمر ، بالضرورة، إلى أن تذهب إلى ابعد من نطاقها لتُحدث في نطاق الجنس حقلي اللعب الموضوعين الى حدٍ أكبر ، أعني بهما حقل اللعب كثقافة وتهذيب ، وحقل اللعب كخلْقٍ فني .

يقول هاريس Harris : « إن نموّ العلاقات الجنسية حتى تصبح فناً يحتاج إلى أن يرفقَ كل من الزوجين بالآخر ، إن لم يجنح في

الحق الى روح المداعبة في المصاعب . ان للعلاقات الجنسية الناجحة أسلوباً خاصاً ، وهي تتطلب نمواً في الحذق والمهارة كالذي يتطلبه الرقص والتزلج أو أيّ من اختبارات الرجل أو المرأة الاخرى ».

وتأثير العوامل الشائعة في عدم التوافق والتي بحثناها فيما سبق من هذا الفصل – الجهل ، وإنكار طبيعة المرأة الشهوية ، ومحاولة الاتصال الجنسي دون التقديم له بالمداعبة واللعب – يُظهره ديكنسن في دراسته لخمسين عروساً شابّة قابلهنّ في اوائل حياتهن الزوجية ، اي قبل ان يمضي على زواج معظمهن تسعة اشهر . لقد كن نساء صحيحات الاجسام ولكنهنّ كنّ يعانين صعوبة في الصلة الجنسية . إنهن لم يدركن ، كمجموع ، ما ستنطوي عليه حياتهن الجنسية. وقد كان في أزواجهن حيرةٌ وتردد ، كما كان فيهنّ خوفٌ ووجل . وهذان العاملان ، عامل التردد وعامل الخوف، بالاضافةِ الى المعرفة الضئيلة المحدودة ، قد انتهيا بأكثر من نصف هؤلاء النساء ، ولما يمضِ على زواجهن عام واحد ،إلى ان يشكون صعوبةً جنسيةما. فثماني عشرة امرأة منهن كنّ يشكون الجماع المؤلم ، وأربعٌ كن باردات لا مباليات ، وأربعٌ كن يعانين عدم توافقٍ جنسي من نوع ما . وقد اعترفت احدى وأربعون امرأة منهنّ بانهن لم يستطعن الوصول الى قمة اللذة في الجماع منذ أن تزوجن .

ويشيرُ ديكنسن الى ان نتائج اختباراته التي اجراها على هذه المجموعة من النساء قد أظهرت له انّ هذه المصاعب يمكن تفاديها . فهو يذكر ان هناك فرقاً في التعديل الجنسي المباشر بين الخمس عشرة امرأة اللواتي أخضعن للفحص الطبي قبل زواجهن ، وبين اولئك

اللواتي لم يخضعن لمثل هذا الفحص . فالأوليات كنّ قادرات على بلوغ قمة اللذة الشهوية في الجماع بقدر اكبر من السهولة واليسر ، ذلك بان اثنتي عشرة امرأة منهنّ اخبرنَ أطباءهن عند زيارتهن لهم بعد زواجهنّ انهن قد استطعن بلوغ هذه القمة . ومن ناحية اخرى ، فانّ خمساً وعشرين من الخمس والثلاثين اللواتي لم يُزَوَّدن بالارشادات قبل زواجهن لم يبلغنها أبداً .

ومن اكثر العوامل انتشاراً في عدم التوافق الزوجي الاتصال الجنسي القصير الامد . لقد رأينا فيما سبق أنه يجب ان يكون هناك تكييفٌ فطن حاذق في الجماع ، وأن النساء ، بوجه عام ، يتطلبن وقتاً أطول مما يتطلبه الرجال لبلوغ قمة اللذة الشهوية . ولقد رأينا كذلك أنّ هدف الزوج هو أن يمكن الزوجة من الوصول الى هذه القمة في الوقت الذي يصل اليها هو ، أو ان يمكنها ، على الاقل ، من بلوغها في الفترة الواقعة بين بدء الاتصال الجنسي ، وانتهاء انتصاب القضيب . هناك بعض الرجال الذين يستطيعونَ أن يضبطوا ارجاعهم ، وأن ينتظروا زوجاتهم حتى يصبحن على استعداد لبلوغ القمة معهم في وقت واحد . وهناك ايضاً رجالٌ يستطيعون مثل هذا الضبط ، ولكنهم لا يحاولونه لجهلهم بحاجات زوجاتهم في هذا المجال . بيد أن عدداً عظيماً من الرجال الذين يرغبونَ رغبةً اكيدة في ارضاء حاجات زوجاتهم الجنسية لا يستطيعون الى ذلك سبيلاً إلا بصعوبة ، وهذه الحقيقة هي المسؤولة في حالاتٍ كثيرة عدم التكافؤ المخيف في بلوغ القمة الشهوية في الجماع .

لقد سأل هاملتون مئة زوجٍ هذا السؤال : « هل تعتقد ان

بلوغك قمة اللذة الشهوية في الجماع يحدث بسرعة لا تتيح لزوجتك بلوغها ؟ » فأجاب خمسة وخمسون منهم بالايجاب (وكانت اجوبة خمسة عشر منهم بتحفظ) ، ولم يجب بالنفي التام إلا ثمانية وعشرون زوجــاً .

وعندما سألَ مئة زوجة هذا السؤال : « هل تعتقدين أن بلوغ زوجك قمة اللذة الشهوية في الجماع بسرعة لا يتيح لكِ انت بلوغها؟» اجابت اربعٌ واربعون زوجةً منهن بالايجاب(وكانت اجوبة إحدى عشرة زوجة بتحفظ) ، ولم تجب بالنفي التام الا ثلاث وثلاثون زوجــة .

وعندما سألَ كلاً من هؤلاء الزوجاتِ انفسهن هذا السؤال : « هل تعتقدين انَّ بلوغ زوجك قمة اللذة الشهوية في الجماع بصورة أبطأ يمكنك من الوصول بدورك إلى هذه القمة مَرّات اكثر ؟ » ، أجابت اربعة وثلاثون منهن بالايجاب . ومما يجدر بنا أن نلاحظه انَّ العدد نفسه من الازواج أجابوا بالايجاب عندما وجه اليهم هاملتون هذا السؤال ، فيما يتعلق بزوجاتهم .

وسأل هاملتون مئة زوجة هذا السؤال : « هل تشعرين احياناً بعدم الرضا الجنسي بعد ان يبلغ زوجك قمة لذته الشهوية في الجماع؟» فكان جواب اربع وسبعين منهن بالايجاب (تسع عشرة زوجة اجبن بتحفظ) ولم يجب بالنفي التام الا ثماني فقط .

وعندما سألهن : « هل يبلغ زوجك ، في العادي من الاحوال ، قمة لذته الشهوية قبلك ، أم تبلغينها قبله ؟ » ، أجابت ثلاث وثمانون منهنَّ بأن ازواجهن هم ، طبعاً ، اسرع منهنَّ في بلوغها ، وأجابت

ستّ منهن بأن ازواجهن أبطأ منهن ، في حين أن ستّ زوجات فقط أكدن انهن يبلغنها وازواجهن في وقت معاً . ولقد أيّد الرجال كلام زوجاتهن عندما سئلوا السؤال نفسه ، فقال اربعة وثمانون منهم انهم ، طبعاً ، اسرع من زوجاتهم في بلوغ القمة ، في حين ان ثلاثة منهم ذكروا انهم ابطأ منهنّ .

وواضح ان هذا التفاوت بين الرجال والنساء في امر بلوغ القمة الشهوية في الجماع يعمل جنباً الى جنب مع العوامل المختلفة التي سبق منا ذكرها ، وبخاصة انعدام الاستعداد الانفعالي عند المرأة ، بسبيل الحيلولة بين الزوجين وبين المشاركة في الخبرة الجنسية . ومما لا شك فيه ان هذه مشكلة تتطلّب درساً دقيقاً واعياً يقوم به الزوجان، كما تتطلب تجريباً طويلاً هادئاً قائماً على أساس من التعاون واستشارة طبيب عاقل ، او اختصاصي بالامراض النفسية ، في بعض الاحوال . إنها مشكلة يجب ان تحلّ اذا اراد الزوجان ان يؤمنا لنفسيهما السعادة الدائمة .

ولقد وجد دبكنسن أن رجلاً واحداً من كل ثمانية رجال أو تسعة يقذف حالما يبدأ الاتصال الجنسي ، وأن واحداً من كل ستة رجال يقذف بعد بدء الاتصال الجنسي بما لا يزيد على دقيقتين . وذكر كذلك أن الصبر على القذف مدة تزيد على دقائق ثلاث يجهد أربعين في المئة من الازواج وأن ٣٤ بالمئة يستطيعون الصبر مدة تتراوح بين خمس دقائق وخمس عشرة دقيقة ، في حين أن السبعة عشر بالمئة الباقين يستطيعون أن يصبروا على القذف اكثر من خمس عشرة دقيقة ، وان من هؤلاء القلة من يقدر على إطالة المدة الواقعة بين

بدء الاتصال الجنسي والقذف بقدر ما يشاء .

ولنبحث الآن بالتفصيل بعض العوامل التي تساعد على القذف العاجل :

(١) النرفزة . يحتاج الرجل الى الاتزان والثقة بالنفس بسبيل إبقاء انعكاسات القذف تحت سيطرة كافية . والنرفزة ، سواء أكانت ناشئة عن السرعة او الارتباك غير الضروريين ، او توقع الاخفاق ، تقلل من السيطرة على آلة القذف .

(٢) الخوف . الحق ان الخوف ليس إلا أسماً آخر للنرفزة . فالخوف من الاخفاق ، والخوف من الحمل ، والخوف من رد الفعل عند الزوجة ، كل اولئك يميل الى وقف الانتصاب ويحمل على القذف العاجل . فاذا ما اصطنعت المرأة اتجاهاً حكيا تعاونياً ساعدت زوجها الى حد كبير على التغلب على الخوف والنرفزة ، في حين أن اتجاهها الخاطل الاناني يزيد الوضع حرجاً .

(٣) الانتصاب غير الكافي . ان ولوج القضيب في حالة انتصابه انتصاباً جزئياً من اهم العوامل التي تؤدي الى القذف العاجل . وهناك عددٌ كبيرٌ من الرجال الذين يجدون صعوبة في الحصول على انتصاب كامل قوي يدوم مدة كافية ، ومن اهم العوامل المساعدة في هذه الحالات عدم استجابة الزوجة .

فبرودتها وعدم مبالاتها تميلان الى وقف انتصاب القضيب ، وعدم فعالية الانتصاب غير الكامل ينمي بدوره البرودة واللامبالاة في الزوجة . وهذه هي « الحلقة المفرغة » .

(٤) الرطوبة غير الكافية : ان اي شيء يجعل من الصعب ولوج

عضو الذكر في المهبل يميل الى ان يحـدث القذف باكراً . ففي الحالات التي لا تستجيب فيها غدد المرأة المزلّقة ، لتزود قدراً كافياً من السائل الطبيعي المزلق ، يجب ان يُلجـأ الى المزلقات الطبيعية النباتية ، فهي افضل من الدهنيـة ، من مثل الفازلين vaseline .

(٤) الاسلوب الخاطىء : يجب ان يتحاشى الرجل السرعة لا عند ادخال القضيب فحسب ، بل في كل دور من ادوار الاتصال الجنسي وفي كل مرحلة من مراحله ، باستثناء اللحظة التي يبلغ فيها مع زوجته قمة اللذة الشهوية في الجماع . فعندئذ يجب على الزوجين ، كالعدّائين ، ان يهجما الى النهاية هجوماً . ولكن الذي يبدو أن عدداً كبيراً من الرجال لا يعرفون اسلوباً افضل من ذلك الذي يوصلهم الى قمة اللذة الشهوية باسرع مـا يمكن . انهم لا يدركون ان الاتصـال الجنسي الذي تساهم فيه شخصية كل من الزوجين الكاملة يتطلب انهاؤه متسعاً من الوقت ، وان الوقوع على الرضا الكامل يقتضي تؤدة وروية . وسنبحث هنا الطريقة التي يتمكن بها كثير من الرجال من ان يحلوا مشكلة الوصول الى قمة اللذة الشهوية في الجماع مع زوجاتهم في وقت واحد .

يجد معظم الرجال المصابين بالقذف الباكر أنّ التهيج الذي يهدّد القذف يكون اقوى ما يكون عند الادخال . وإذن فمن المستحسن ان لا يأتي الزوجان بأيما حركة بعد اتصالهما جنسياً ، وان يلجآ الى السكون التام . ان الزوج يجد ، عندئذ ، ان إنزاله يتأخر تدريجياً . وقد يكون ضرورياً للرجل في هذه الفترة ان لا يفكر

في امور جنسيـة . حتى اذا ما وجد ان الحركة لا تسبب له الانزال بدأها بلطف وهدوء ، على ان تبقى الزوجة هادئةساكنة -جسمياً، لا مزاجياً . ولا بدّ له ، اذا ما شعر انه اصبح مرة اخرى على قاب أو ادنى من الانزال ، من العودة الى السكينة مع زوجته . ولسنا بحاجة الى القول ان الرجل يجد نفسه ، تدريجياً، أقدر على السيطرة على مراكز القذف ، وان باستطاعته ان يطيل كل دورٍ من أدوار الحركة دون ان ينتهي به ذلك الى القذف، وان باستطاعته كذلك، بعد وقت قصير ، ان يطلب الى زوجته ان تشترك معه بالحركة الخفيفة . وعليه دائماً ان يحيطها علماً بتقدّمه ، وأن يخلدا الى السكينة معاً قبل ان يبلغا اللحظة التي يتم فيها القذف . وعلى هذا تصبح ادوار الحركة المشتركة أطول ، وتصبح استجابات المرأة أقوى بصورة تدريجية . حتى اذا ما اصبحت مستعدة لبلوغ قمة اللذة الشهوية في الوقت الذي يبلغها هو أخبرته بذلك ، وبدآ معاً حركات قوية . وعلى الزوج اذا ما وجد ان زوجته لم تبلغ القمة في الوقت الذي بلغها هو ، أن يظل في حركته ، ما سمحَ له الانتصاب ، حتى تبلغ زوجته غايتها كما بلغ هو غايته . إن بعض الأزواج يستطيعون أن يطيلوا عن طريق هذا الاسلوب ، مدة الاتصال الجنسي الى نصف ساعة او ساعة كاملة ، ولكنه من المشكوك فيه ، من ناحية اخرى ، ان يتمكن ايما رجل من إطالة مدته إذا لم تتخلل حركاته فترات من الهدوء والراحة .

ولعل اكثرية النساء يعتقدن أن الحركة التي تصاحب الاتصال الجنسي من حقّ الرجل وحده ، إلا عند بلوغ قمة اللذة الشهوية ،

عندما يصبح من المستحيل مقاومة الدافع اليها . إن هذا خطأ فادح خَطِر . انها اذا ما ساهمت في الحركة لا تقوّي استجابات الرجل فحسب ، بل تسهل على نفسها بلوغ قمة اللذة الشهوية في الوقت الذي يبلغها هو .

ولا شك في ان اصعب الحالات التي تواجه الطبيب هي حالات القذف الباكر ، يعني القذف عند الادخال تماماً ، او قبله مباشرة . ولا شك كذلك في ان الرجال المصابين بالقذف الباكر لا يستطيعون ، آخر الامر ، أن يُبلغوا زوجاتهم قمة اللذة الشهوية في الجماع ما داموا لا يقدرون ان يتغلبوا على حالتهم هذه . غير أن كثيراً من الحالات تتضمّن ، لحسن الحظ ، عوامل نفسيّة تسهل مداواتها على الاخصائيين بعلم النفس . ولسنا نذيع سراً إذا قلنا ان هذه الحالة منتشرة بين المثقفين والمفكرين من الناس بقدر انتشارها بين من هم دون هؤلاء ثقافة ومزايا ، إن لم تكن اكثر انتشاراً . وجدير بكل شخص مصاب بالقذف الباكر أن لا يعتبر هذه الحالة أمراً يستحيل الخلاص منه ، ذلك بأن مثل هذا الاعتبار لا يحول بينه وبين اختبار الرضا الجنسي الكامل فحسب ، بل يحبط حياة زوجته الجنسية ، ويؤدي الى نتائج سيئة . وكثيراً ما يكون القذف الباكر ، وبخاصة عند الرجال الذين لم يمضِ على زواجهم الا وقت يسير ، حالة عارضة ، سببها الاولي التوفزة وعدم الاختبار . هذه الحالة تعدل نفسها عندما يسود الزوجين روحُ التساهل المشترك ، والتعاون الصادق فيما بينهما . بيد أنه من المهم جداً ان تُصلح هذه الحالة باكراً ، ذلك بأن أيّ تأخر في اصلاحها يساعد على تثبيت

عادة الاخفاق، وعلى أن يهدم الثقة بالنفس ، وان ينقص من إمكانية الاصلاح . وإذ كان الرجال يبلغون قمة اللذة الشهوية حتى في حالة إصابتهم بالانزال الباكر ، ويحصلون على نوع من المتعة والرضا ، فأنهم عرضة لان يميلوا ، بسهولة ويسر، الى ان يتقبلوا الوضع الذي هم فيه ، فلا يبذلون ايما جهد بسبيل إصلاحه ومداواته . إن هذا ليس قصر نظر واتجاهاً خاطئاً يصطنعه الرجل فحسب ، ولكنه أنانية خالصة ، واهمال تام للزوجة وحاجاتها الجنسية . فالجماع الذي لا ينتهي بالمرأة الى بلوغ قمة اللذة الشهوية لا يرضي المرأة إرضاء كلياً، فضلاً عن أنه يؤدي بها إلى التوتر والاثارة الجزئية ، والخيبة .

وارقام ديكنسن التي سبق ان قدمناها تشير الى مدى انتشار هذه المشكلة . وقد اتضح لنا منها ان رجلاً واحداً من كل ثمانية رجال او تسعة يقذف عند بدء الاتصال الجنسي مباشرة ، فاذا اضفنا الى هذا عدد الرجال الذين يقذفون بعد بدء الاتصال الجنسي بدقيقة أو نحوها ، اتضح لنا ان الرقم يزداد الى درجة كبرى . وسأحاول ان ابسط للقارىء ثلاث حالات وقفت عليها في الاشهر القليلة الماضية، عله يقدر بعض النتائج والتأثيرات التي تؤدي اليها هذه المشكلة .

استمعت زوجة شابة الى محاضرة لي في الزواج ، فتمكنت من ان تتفهم مشكلتها بعض الشيء . وارسلت زوجها ليستشيرني ؛ و كان هذا الزوج نبيهاً فطناً ، يشغل منصباً تجاريا مسؤولا . ولكنه كان في الامور الجنسية طفلاً بسيطا الى ابعد حدود البساطة . لقد مضى على زواجه بفتاته ثلاثة اعوام بتمامها ، ولكنهما لم يستطيعا ان يتحققا حتى بمراحل الاتصال الجنسي الاولى مرة واحدة . كان

الرجل يقذف عند مجرد محاولته الاتصال الجنسي ، حتى انتهى آخر الامر الى ان يصاب بالعجز النفسي . ولم تُجدِهِ النصيحة الاولى التي قدمها اليه طبيبه فتيلا ، ولم يدل الفحص الطبي على اي نقص عضوي فيه ، كما وجد ان الزوجة ، من ناحية اخرى ، امرأة سوية قادرة على الاستجابة الجنسية . وكانا قد اتفقا على ان يفترقا اذا لم يتسن لهما التغلب على هذه الحالة ، واي امرىء لا يوافقهما على هذا الفراق؟ وعندما رأيتهما مؤخراً اخبراني بانهما استطاعا ان يتحققا ببعض التقدم .

اما الحالة الثانية التي وقفت عليها فهي حالة زوجين آخرين مضى على زواجهما ايضا ثلاثة اعوام ، وكان الزوج مصاباً بالقذف الباكر ولم يستطع التغلب عليه طيلة هذه المدة . وبدأ النفور يدب بين الزوجين ، واصبحت حياتهما سلسلة من الخصام والنزاع . لقدتقبل الزوج منذ البدء نقصه هذا كأمر لا مفر منه ولا شفاء ، ولم يبذل ايما جهد بسبيل التغلب عليه . أما الزوجة فقد كانت طبيعتها الجنسية حادة قوية ، ولكن هذه الطبيعةلم تكن تجد ابواب الارضاء مفتوحة امامها ، فلم يكن بدّ من ان يفترق الزوجان افتراقاً ابدياً .

وقد كانت الحالة الثالثة حالة زوجين ذكيين فطنين مثقفين ، عصريين الى حد بعيد في اتجاهاتهما ونظرتهما الى الحياة . وكانا قد قرآ معاً كتاباً من افيد الكتب التي تبحث في الناحية الجنسية من الزواج كما قُدّمت لهما الارشادات الكافيةعن الامور الجنسية قبل زواجهما . إنهما يحبان بعضهما حباً عميقاً – بالمعنى العام – كما انهما يلائمان بعضهما بعضاً من حيث المزاج والمصالح ملاءمة حسنة . وقد كانت كل هذه

إمكانيات تتيح لهما ان يتحققا بزواج من الطراز الاول .

غير أنه وجد بعد مرور خمسة اشهر على حفلة الزفاف أن الزوجة ، مع أنها كانت تستجيب بصورة سوية ، لم تبلغ قط ذروة اللذة الشهوية في الاتصال الجنسي بسبب من قذف زوجها العاجل . وبعد أن زودتهما بارشادات معينة قاما بتجربتها معاً ، ودلّت النتيجة على أن الأسلوب الذي سبق مني ذكره ، والذي يتلخص بالتؤدة وعدم السرعة ، والأدخال بعناية ، والخلود إلى الهدوء والسكينة بعد الادخال مباشرة ، ثم الأخذ بالحركة اللطيفة بصورة تدريجيّة ، ثم اشتراك الزوجة بالحركة تدريجياً ، الخ ... قد أفادهما معاً ، وافاد الزوجة بصورة خاصة ، ذلك بانه قد اصبح في استطاعتها أن تنال الرضا الجنسي الكامل كما يناله زوجها . ولسنا في حاجة إلى أن نقول إن الزوج والزوجة في كثير من الحالات يربحان نصف المعركة بمجرد تمكن الزوج من الأدخال دون أن يحدث له القذف ، وأن النجاح في هذه الحالة بعينها لم يأتِ دفعةً واحدة ، وإنما تحقق به الزوجان بعد وقت قصير ، نسبياً .

فاذا لم ينجح الزوجان بالرغم من اتباعهما هذه الطريقة مدةً لا تزيد على شهرين أو ثلاثة – ومن الأفضل أن تكون هذه المدة أقصر – فعلى الرجل أن يبادر إلى استشارة اختصاصيٍ ماهرٍ في المسائل التناسلية البولية .

وهناك طريقتان ممكنتان يرجى بواسطتهما النجاح : الأولى أن يبيّن الطبيب للرجل كيفيّة استعمال مخدّرٍ موضعي يوضع تحت قلفة القضيب لأخماد الحساسية إلى درجة يصبح معها القذف بطيئاً ،

على أن لا يمنع هذا المخدر القذفَ بالكلية . والطريقة الثانية هي أن يعمد الطبيب الى معالجة المشخ لازالة التهيج المفرط . وهناك بعض الاختصاصيين الذين يعلنون أنهم قد اتبعوا هذه الطريقة الثانيـة ، وانهم استطاعوا الحصول على نتائج جيدة . ولا بـد لنا من تحذير الرجال من الوقوع في شباك الدجالين والمشعوذين ، فانهم إن فعلوا ، أنفقوا أموالهم واوقاتهم دون أن يحصلوا على أيما فائـــدة أو نفع ، هـــذا إذا لم يسبب لهم علاج هؤلاء المشعوذين الأذى الكبير .

***

إن تقصير الزوج في احترام رغبات زوجته الجنسية وحاجاتها ، وفي تكييف نفسه حسب هذه الرغبات والحاجات ، هو عاملٌ آخر من عوامل عدم التوافق الزوجي .

لقد رأينا أن الرغبة الجنسية عند معظم النساء تقوى وتضعف في أوقاتٍ معينة ، إلى حدٍ كبيرٍ أو صغير ، من الدور الطمثي . أما الرجال فلا يختبرون مثل هذا الاختلاف الدوري في الرغبـــة الجنسية ، ومن هنا كانوا خليقين ، في حالة جهلهم لهذه الطبيعةالخاصة التي يتميز بها النساء منهم ، بان يصعب عليهم فهم ما قـد يبدو لهم مجرّد اختلاف وتباين في مزاجهن .إن كثيراً من النفور ،والخصام ، والشقاء ، مَرَدّه إلى مثل هذا الجهل . يتزوج العروسان الشابان ، ويجد الزوج أن زوجته تستجيب له بشوقٍ ورغبةٍ في بعضالأحيان وأنّ حالها تتبدلّ فجأةً فتصبح باردة غير مبالية . ويقوده هـذا إلى الاعتقاد بانها متقلبة ملول ، لا تستقر على حال . أما هي فقـد

تتهمه ، لجهلها بالفروق الكائنة بين تركيبيهما الجنسيّين ، بعدم التبصّر ، وبالأفراط في طلباته . وهنا قد يبدأ الاحتكاك وسوء التفاهم ، ويكون التفاهم أمراً لا منجى منه بسبيل التعديل الناجح. إنّ على كل زوج أن يدرس زوجته من هذه الوجهة ، حتى إذا وجد أنّ مصلحتهما المتبادلة وسعادتهما المشتركة تتطلبان الامتناع عن الاتصال الجنسيّ في أدوارٍ معينة امتناعاً كلياً ، كان عليه أن يحترم رغباتها وقد يجد أنّ الأمر أبسط من هذا وأيسر ، وأنه لا يتطلب سوى ممارسة الاتصال الجنسيّ مراتٍ أقلّ من المعتاد ، وفترة اطول من المغازلة والأعداد اللذين يسبقان الجماع . ولا حاجة الى القول بان الصراحة الكاملة بين الزوجين ضرورية بسبيل التعديل الناجح لكليهما معاً .فالزوجة يجب أن تساعد زوجها على فهم حاجاتها واحوالها المزاجية ليتسنى له إرضاؤها وتحقيقها .

***

لقد لاحظنا مما تقدم أن استجابة النساء الجنسية عُرْضة ليقظة تدريجية ونموّ عن طريق الأغراء والاختبار المتكررين . وذكرنا أمثلة تظهر أن القوة الكامنة قد تظل هاجعة طيلة سنوات عديدة من الزواج ، لافتقارها إلى المؤثر الذي تحتاج اليه بسبيل إثارتها وجعلها نشيطة عاملة . إن الجهل بهذه الصفة التي تتميز بها طبيعة المرأة الجنسية يؤدي الى الاعتقاد بان هذا النقص في إستجابة المرأة أمر طبيعي فيها ، وأن الاختبار الجنسي غير المتساوي أمر لا مفر منه . وهكذا يصبح من المستحيل نمو قوى المرأة الجنسية ، فتبقى سجينة الى الابد . يجب أن يكون الازواج ، وبخاصة

زوجاتهم الشابات ، عـلى علم بهذه الحقائق ، حتى اذا ما وجدت العروس في الاسابيع أو الأشهر الاولى من الزواج أن الاتصال الجنسي لا يعني بالنسبة اليها ما يعنيه بالنسبة الى زوجها ، لم تُصدم ولم تصبها الخيبة المرّة ، بل استعملت ذكاءهـا وفطنتها في حل مشكلتها الجنسية . وكذلك يستطيع الزوج ، إذا ما كان واقفاً على هذه الحقائق ، أن يشارك الزوجة في اتباع الطرق التي تتيح لقواها الطبيعية أن تنطلق وتعبر عن نفسها .

٤. عوامل اخرى في عدم التوافق

•

نقصد بهذا الفصل الى أن نبحث بعض العوامل في عدم التوافق الجنسي في الزواج ، التي هي اقل صلة بالفروق الجنسية المدروسة في الفصل السابق .

العوائق الأدبية

لقد اتينا عـــلى ذكر التأثيرات المشؤومة التي يحدثها التكييف السلبي عن طريق نظمنا الثقافية والادبية العامة . وهذه التأثيرات هي من الاهمية والشيوع بمحل تتطلب معه توسعاً في البحث . ونحن إنما نقصد هنا الى هدفين اثنين: الأول أن نساعـــد هؤلاء الذين هم على عتبة الزواج على أن يروا هذا الخطر الذي يهدد سعادتهم . يجب أن يتحرر الشبـــاب من كل فكرة تقول بان الجنس أو الصلات الجنسية شيء قذر غير نبيل . وفوق هـــذا فانهم بحاجة الى تقدير إيجابي للحب — في صورته السليمة — واعتباره قوة الحيـــاة الديناميكية الكبرى . وعليهم ان يذكروا الحقيقة التي تقول بانه لو أمكن تجريد حب الزوجين من عامل الجنس إذن لخسر هذا الحب قوته الديناميكية ولأصيب « بفقر الدم » .

أما هدفنا الثاني فهو إطلاع الآباء والمعلمين في جميع النواحي التي لها صلة باعداد الصغار للحياة على مدى الضرر الذي أنزله جوّنا الاجتماعي وطرقنا التثقيفية بالزواج والعائلة والمجتمع ، باسم « الطهارة » و « العفة » و « مثل الزواج العليا . »

وإذ كان ديكنسن شاعراً بان تأثير الثقافة والدين يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار عند اية محاولة لتقدير المواهب الجنسية ، فقد اختار من بين ١٠٩٨ قضية من قضايا الحياة الجنسية التي كان قد درسها ١١٥ قضية نسائية كانت صاحباتها تحت تأثير التقاليد الثقافية اكثر من سائر النساء العاديّات ، وكان قصده أن يقابل بينهن وبين المجموعة كلها – يعني الـ ١٠٩٨ امرأة – ليرى تأثير العوامل الثقافية والادبية التي تتعرض لها النساء . وقد كانت احدى وثمانين امرأة من هؤلاء النسوة زوجات لرجال يشغلون مناصب دينية في فروع رئيسية ، أما الباقيات ، وعددهن ٣٤ امرأة فقد كنّ يدرسن في كليات مختلفة .

ويذكر الدكتور ديكنسن عن زوجات الرجال الذين يشغلون المناصب الدينية أن احصاءاته قد دلته على وجود تحاشٍ جنسي في حياتهن الزوجية ، لاسباب أدبية ، وان خمساً واربعين امرأة منهن يشكون نوعاً من عدم التوافق الجنسي .

وقد كانت فكرة المرأة العادية في مجموعة ديكنسن عن الجنس أنه شيءٌ منحطّ ، وأنه يتعلق بأدنى جزءٍ من نفسها . وكثيراً ما يشاطرها زوجها هذا الاتجاه . كنّ يقلن له : « نحن لا نسمح بأن ينحطّ الحب إلى هذا الدرك » و« إنّ زوجي لا يرتدي ثيابه ولا

يخلعها أمامي . » وهاتان الجملتان مثالان عن العبارات الكثيرة التي كن يصرحن بها ، والتي تكشف عن اتجـــاه دفاعيّ نحو الجانب الجنسيّ من الزواج . يقول ديكنسن : « إن كلاً من زوجات هؤلاء الرجال ، ليست حرّة في أن تصطنع اتجاهاً تلقائياً نحو الحياة الجنسية . إن عليها أن تحقق مثل الزوج الذي يعتقد أن الزوجة الرصينة بحقٍ يجب أن تكونَ باردةً نوعاً ما . »

و إذا كان القارىء يتوقع أن يكون تأثير العوامل الأدبية في القسم الثاني ، يعني النساء اللواتي يدرسن في الكليات ، أقلّ من تأثيرها في زوجات الرجال الذين يشغلون مناصب دينية ، فلا شك في أنه واهم إلى أبعد الحدود . إن هؤلاء النسوة يمثلن النقطة التي تلتقي عندها الثقافة العالية والجنسية . وهنّ « ذوات صحة جيدة ، ولكنهن حائرات ، مترددات في أمور الحب . » وهذه الحيرة ذات أساسٍ « استاتيكيّ » Aesthetic إلى حد كبير . فالدكتور ديكنسن يقول انه اختار من بين مريضاته اربعاً وثلاثين امرأة فوجد أن احدى وعشرين امرأة منهنّ كان الغرض الرئيسي من زيارتهن له استشارته في أمور جنسيّة . ثم يزيد فيقول : « إنّ احدى عشرة امرأة من هؤلاء النساء لم يكنّ يشكون شيئاً من التعديل الجنسيّ في الزواج ، وكانت ثماني نساء منهن باردات لا مباليـات ، وست كن يشكون الجماع المؤلم ، وثلاثٌ لم يكنّ على وفاق مـــع ازواجهن ، واثنتان افترقتا عن زوجيهما ؛ وثلاث كنّ على أهبة الطلاق ، وواحدة طلقت زوجها فعلاً . وهذا يعني أن نسبة النساء اللواتي كنّ يشكون عـدم التوافق ثلاثٌ وعشرون امرأة من

اربع وثلاثين ، أو اثنتان من ثلاث ، وهي نسبة – لعمري – هائلة مخيفة . »

ولم يدل بمعلومات عن الجماع إلا اثنتا عشرة امرأة منهن. ومن هؤلاء الاثنتي عشرة امرأة اثنتان لم يتصلن جنسياً بازواجهن إلا مرة كل ثلاثة اشهر ، واثنتان مرة كل خمسة أشهر ، وواحدة مرة كل شهر ، وواحدة بسبيل الحمل فحسب ، والأخريات من مرة واحدة إلى ثلاث في الأسبوع . وقالت ست عشرة امرأة منهن انهن كن يبلغن قمة اللذة الشهوية في الجماع كازواجهن ، وقالت خمس عشرة امرأة انهن نادراً ما يبلغنها او لا يبلغنها إطلاقاً ، ولم تعط ثلاث منهن اية معلومات عن هذا الأمر .

ويقول الدكتور ديكنسن عن هؤلاء النسوة إن الشيء الذي لاحظه فيهن اكثر ما لاحظ هو استنكافهن الجنسي . ويلاحظ « أنه اذا كان ثلث هؤلاء النسوة في وضع ملائم ، وأنه اذا كان ست منهن انتهين الى فراق ازواجهن أو طلاقهن منهم ، فان هذا قد يكون محض اتفاق . ولكن الاستنكاف الجنسي ، وكره العمل الجنسي ، اللذين تتميز بهما كثير من حالات هؤلاء النسوة ، لهما مغزى خاص. »
لقد ظهر لنا أن ٣٧٫٥ بالمئة من ١٠٩٨ امرأة كن يشكون عدم التوافق الجنسي في وقت ما ، وان ٦٧٫٥ بالمئة من الـ ١١٥ امرأة كن يكرهن العمل الجنسي . وهذا أمر جدير بالملاحظة والتدبر ، غير شك .

ولا نكون منصفين اذا لم نعلن انه قد ظهر، منذ الحرب العالمية الأولى ، وبخاصة في السنوات الست الماضية ، تحسن ملحوظ في

الاتجاه الثقافي فيما يتعلق بهذا . فالآباء في كل مكان قد اخذوا يكوّنون وجهة نظر جديدة ، والآباء والامهات الشباب بصورة خاصة قد بدأوا يظهرون اهتماماً جديا في هذه المشاكل الثقافية ، ويستعملون ذكاءهم بسبيل حلها . وهناك بعض المدارس التي اخذت في تعديل مناهجها بصورة تدريجية بحيث تساعد على تعديلات الحياة ، وحياة العائلة ، وبحيث تتضمن موضوعات تشمل هذه الامور جميعاً. ولقد احرزت الكليات ، بوجه خاص ، تقدماً في هذا المضمار . فالتحريات التي قمت بها حديثاً عن حالة التعليم الجنسي في ١١١ كلية أظهرت لي أن ١٠٥ منها كانت تولي التعليم الذي من شأنه أن يساعد التلميذ على ان يقف على قدميه في الحياة الجنسية درجة من الاهتمام والانتباه . ولكن الذي لا شك فيه أن هذا العدد الكبير لا يعني أن هذا الوضع يوحي بالامل الكبير ، فالحق أن كثيراً من هذه المناهج المستحدثة لا تزال سطحية تتناول أجزاء صغيرة من الموضوع الواحد . وإن ثلاثين كلية من هذه الكليات يمكن أن يقال انها تولي التعليم الجنسي اهتماماً جديا ، وتقدمه بطريقة سوية . اليس من المؤسف أن نجد أن المؤسسات الكبرى ، وبخاصة الجامعات الكبرى ، لا تزال تهمل اكثر ما يكون الأهمال هذه الناحية من الاعداد للحياة الناجحة ؟

البرودة الجنسية

يظن معظم الناس ان البرودة الجنسية هي الانعدام الوراثي للرغبة الجنسية ، أو عدم القدرة على الاستجابة الجنسية . ولكنّ

هذه البرودة المطلقة التي تكون جميع عواملها سلبية ، نادرةٌ جداً .
ان الحالة التي نبحثها الان هي الحالة التي يعمل عامل فيها واحد ، أو مجموعة من العوامل كما هي العادة ، على الوقوف في وجه الطبيعة الجنسية ومنعها من التحقيق . ولقد درسَ ديكنس مئة حالة من هذه الحالات ، فألقى ضوءاً على مشكلة البرودة الجنسية ، وأظهر انها في الأساس امر من امور الزواج .

وقالت اربع وعشرون امرأة من هؤلاء المئة أنّ زواجهن كان سعيداً موفقاً ، وكذلك قالت سبع وأربعون انه لم يكن هناك ما يعترض سعادتهن الزوجية إلا مشكلة الجماع . وذكرت ثماني عشرة امرأة انهن كنّ غير سعيدات ، وتسع منهن لم يصرحن بشقائهن ، ولكن شكايات الزوجة قادت ديكنسن الى الاعتقاد بانهن غير سعيدات . وإذن ، فقد ظهر ان ربع المئة كنّ بعيدات عن السعادة في حياتهن الزوجية .

ويقول الدكتور ديكنسن في معرض كلامه عن صلاتهن الجنسية : « إن القِصر هو الشيء الذي الذي يتميّز به الجماع عند هؤلاء النسوة . وان ازواجهن هم الذين يحصلون على اللذة الجسدية منه ، في حين يبقين منفعلات ساكنات . فمرة او مرتين في الاسبوع يتصل الزوج بزوجته جنسياً دونما مقدمات ومداعبات ، اتصالا يدوم دقائق خمس ، يبلغ الزوج بعدها قمة اللذة الشهوية ، ثم لا تبلغها الزوجة . ويدرك كلٌّ من الرجل والمرأة ان ليس للمرأة رغبة قوية ، وإنها إنما تخضع دونما تهيج ، وتتوقع ان ينتهي الاتصال دون ان تبلغ قمة اللذة الشهوية » .

ويستنتج ديكنسن أن في قولنا « المرأة الباردة اللامبالية » مغالاةً شعرية ، وان البرودة يمكن تعريفها بطريقة أفضل بانها تردد جنسيّ يتخذ مجرى غير مجراه المنتظر .

إننا لم نقدم هذه المعلومات بسبيل إعطاء صورة مظلمة عما ينتظر الصلات الجنسية ، ولكننا قدّمناها بسبيل الاشارة إلى إمكانية حل هذه المشاكل . وليس يجني المرء شيئاً من وراء التنكر للحقيقة . فاذا كنا نبغي اصلاح هذه الحالات أو تحاشيها فينبغي ان نشعر بوجودها وان نعترف بانتشارها ، وبالعوامل التي تنشأ عنها . وإذا كانت البرودة حالة طبيعية فطرية فليس بوسعنا ، حسب معرفتنا الحاضرة ، أن نفعل إزاءها شيئاً . لقد رأينا أن الذنب إما أن يكون ذنب الزوج او الزوجة ، وأنهما أضاعا الطريق منذ البدء ، او في مكانٍ ما إبان الرحلة الزوجية . ومن هنا كان باستطاعتهما أن يحلاّ هذه المشكلة إذا ما تعاونا على بذل الجهد المشترك لايجاد الطريق الصحيح .

ومهما تكن العوامل الأخرى التي تؤثر في البرودة الجنسية - والحق ان هناك عوامل كثيرة غامضة لم تفهم حتى الان - فمن الواضح ان العوامل العامة في عدم التوافق الزوجي في هذه الحالات التي بحثناها هي جميعاً في حالة العمل . هناك الجهل العام المشترك ، والحاجة الى ان يفهم كل من الزوجين تركيب صاحبه الجنسي ، وتركيبه الخاص ايضاً ، وهناك الارث الاجتماعي من الاتجاهات التي تجعل المرأة تميل الى السلبية ، وتجعل الرجل يميل الى مستوى من الجنسية وضيع مركّز في الذات . وهناك الجهل بدورية الرغبة

الجنسية في المرأة وعدم اعتبارها وضعف التقدير الذي يوليه الزوج للمداعبة التي تسبق الجماع او تلحقه .

الجماع المؤلم

ان الجماع المؤلم ، في نتيجته ، شكل آخر من اشكال البرودة الجنسية. فالمرأة الباردة اللامبالية تعبر عن ثورتها او كرهها بالبرودة، والمرأة التي تتألم عند الجماع تعبر عنها بالالم . والفرق بين النوعين هو ان الاخير يلح في الاعتقاد بأن هناك سبباً جسدياً في هذا الالم .

الخوف

إذا كانت مشكلة الخوف ذات اهمية عظمى في درس الجنسية البشرية ، فلسنا نحاول بهذا الكتاب أن نحلل هذا الموضوع تحليلا مفصلاً[1] . إنه موضوع معقّد ، فالمخاوف الجنسية لا يمكن أن تبحث بمعزل عن الحياة كوحدة كاملة . وهي عادة تعبير عن اتجاه خائف ، بصورة عامة ، نحو الحياة . والنساء اللواتي يعددن مخاوفهن الجنسية هن أيضاً مصابات بانواع اخرى من المخاوف ، كالخوف من الحيوانات ، والظلام ، ولصوص الليل ، والضجة ، والآلات ، والسم في الطعام ، والخطيئة ، والعقاب ، والرجال الغرباء ، الخ .. وهذا يدل على أن النساء اللواتي يعمل الخوف على إعاقة استجابتهن الجنسية يجب ان يعالجن على أساس أوسع من الأساس الجنسي وحده .

---

(١) يمكن للمستزيد ان يراجع كتاب الدكتور ديكنسون :
A Thousand Marriages

ولقد اظهرنا فيما سبق أن نسبة معينة من المخاوف الجنسية تنشأ عن الخبرة الزوجية، وأن هذه المخاوف في الأساس تعود الى الثقافة، والى خبرات باكرة تحدث للفرد صدمات، كثيراً ما تقوى وتؤكد عن طريق خبرات مؤلمة غير سارة في اثناء الحياة الزوجية. يجب أن تهاجم المشكلة عن طريق ثقافة أصلح. ذلك بأنه من الضروري لكل رجل أو امرأة يقتربان من الزواج أن يقوما بتحليل نفسيهما، وأن يعيدا النظر في ثقافتهما. وهـــذا ما يجب أن يؤكد عليه من وجهة النظر العلمية المباشرة. فليس هناك ما يشلّ القوى والمقدرات الجنسية بصورة أسرع واكمل مما يشلها الخوف. فالرجل الخائف لا يستطيع الحصول على الانتصاب، أو الابقاء عليه، والمرأة الخائفة عاجزة عن الاستجابة. فالنجاح في هذه النواحي يتطلب الطمأنينة والثقة والاتزان. وكما سبق أن أظهرنا، فان اتجاهاً خائفاً لا يعني فشل العمل الجنسي المباشر، بل يعني كذلك ميلاً الى تثبيت الشخصية في سلبية جنسية تثبيتاً نهائياً.

والنوع الأول من انواع المخاوف التي نحب أن نوفيهـــا بعض حقها من البحث هنا هو الخوف من الحمل. إن هذه مشكلة يجدر بكل زوجين أن يواجهاها بحزمٍ وتدبر. فاذا كانا يرغبان في أن يؤمنا لنفسيهما السعادة الزوجية والصحة الجيدة فيجب أن لا يسمحا للخوف من الحمل بأن يتدلى فوق الفراش الزوجي كسيف مربوط بخيطٍ، في تلك الاوقات التي يعتبر الحمل فيها ضاراً بحياة الزوجين بصورة قاطعة. وهذا يقودنا بالطبـع إلى بحث مشكلة اللجوء إلى استعمال موانع الحمل.

وليس هدفي هنا أن اقنع أياً كان باستعمال موانع الحمل ، او عدم استعمالها ، بسبيل تنظيم الحمل او الحدّ منه . فالحق ان هذه مشكلة تتعلق بالزوجين وحدهما ، وعليهما ان يبحثاها بتفاهم على ضوء وضعهما الخاص. بيد انني الحّ على ان النجاح والسعادة الزوجيين يقتضيان مواجهة هذه المشكلة واتخاذ قرار حاسم بشأنها ، وان الاخفاق في هذا ُجبن. والحّ كذلك على ضرورة تنظيم الحمل تنظيماً واعياً حكيماً ، لا على تحاشيه ومنعه . فانجاب الاطفال ذو أهمية كبرى شخصية واجتماعية ، كما ان للحمل المفرط غير المنظم مضارّ وشروراً تصيب العائلة والمجتمع في وقت واحد . وغني عن القول ان اولئك الذين يتعمدون عدم إنجاب الاطفال يجب ان يساعدوا على فهم الحقيقة التي تقول بانهم في عملهم هذا إنما يسدون في وجوههم إحدى السبل العليا في الحياة نحو العيش المنيء الغنيّ ، وليس هناك أي شيء يستطيع ان يعوضهم عن هذه الخسارة . ويجب كذلك ان يساعدَ الأزواج الذين يرغبون في الحصول على طفل واحد فقط على أن يدركوا انهم بهذا إنما يضعون في وجه طفلهم الوحيد اكبر العراقيل التي تحول بينه وبين النمو الشخصي والاجتماعيّ ، وبين التعديل الناجح الفعال في هذا العالم . إنّ اية محاولة لضبط النسل يجب أن تكون محاولة أبوةٍ عاقلة تعمل في كلا الاتجاهين . وعلى كل فانّ الطفل يجب ألاّ يؤتى به إلى هذه الحياة إلاّ إذا كانت الظروف مؤاتية لاستقباله أحسن ما يكون الاستقبال . تلك هي الطريقة التي يختلف فيها الانسان عن الحيوان ، من هذه الناحية .

وسنثبت فيما يلي ملخصاً للحقائق عن انتشار استعمال موانع الحمل بين افراد « الطبقة الراقية » ، كما تظهرها الأبحاث الحديثة ، علّ ذلك يكون ذا فائدة لأولئك الذين يُعنون بهذه المشكلة .

اختار دافيس Davis الف امرأة متزوجة ، فوجد ان ٧٣٠ منهن كن يستعملن موانع الحمل . فاذا استثنينا العاقرات منهن ، تبين ان الرقم يعني ٨٥٪ من مجموع النساء اللواتي يستطعن انجاب الاطفال . ومن الطريف ان نلاحظ ان نساء افراد الفريق الذي كان يلجأ الى استعمال هذه الموانع كنّ يحملن بمعدل اعلى من النساء اللواتي لم يكنّ يلجأن الى استعمالها ، وان عدد اطفالهن اكبر من عدد هؤلاء . ودرس هاملتون حالات مئة رجل متزوج ومئة امرأة متزوجة ، ووجد ان اثنين وتسعين رجلاً ، وثماني وسبعين امرأة ، كانوا يستعملون موانع الحمل .

اما ديكنسون فيقول في الحالات الألف التي درسها : « إن الافتراض هو ان النسل في هذه المجموعة يُضبط عادة . وإن ما يجعلنا نفترض هذا هو انه يصحّ في الأغلبية الساحقة من الحالات التي قدّم صاحباتها فيها معلومات عن حصول الحمل او عدمه ، ويبلغ عددها ٥٣٢ . فقد ذكرت خمس وعشرون امرأة فقط ، يعني أقل من امرأة من كل عشرين ، انهن لم يستعملن مطلقاً اي نوع من انواع موانع الحمل . وقالت النساء الباقيات ، وعددهن ٥٠٧ ، انهن كن يستعملن نوعاً ما من هذه الانواع ، او انهن لم يكن بحاجة الى استعمال شيء بسبب عقمهن ، او عملية التعقيم التي أجريت لهن » .

ويتبين من هذه الأرقام ان الأغلبية الساحقة من أفراد الطبقتين

ويتبين من هذه الارقام انّ الاغلبية الساحقة من افراد الطبقتين الوسطى والعليا من الناس ، بالرغم من أن استعمال موانع الحمل أو عدمه لا يزال موضوع أخذٍ وردّ ونقاش في مختلف الاوساط ، تستعمل هذه الموانع فعلاً . ويبدو انّ الذوق السليم يقود معظم المتزوجين والمتزوجات ، عاجلاً أو آجلا ، الى اللجوء الى موانع الحمل بسبيل جعل انجاب الأطفال يتلاءم مع نظام عائلي صحيح ، حتى ولو كانوا ما يزالون يشكّون في صحة هذا العمل من الناحيتين المعنوية والأدبية . انّ هذه الحيرة العقلية شيء مؤسف في الحق ، ذلك بانها نوع من انواع الخوف ، ولأنها تميل الى أن تمنع الاستجابة الجنسية وتفسد التناغم . فلكي يتسنّى لكل زوجين ان يقوما بالتعديل الناجح ، وان يتجنبا عدم التوافق ، عليهما ان يفكرا في الامر ملياً ، وان يتوصلا إلى اتخاذ قرار حاسم . ومهما كانت الطريقة التي تخرجهما من هذا المأزق ، فان من المهم جداً إنقاص الخوف من الحمل الى الحد الادنى ، او محوه من الحياة الزوجية محواً تاماً .

ولسنا نهدف في هذا الكتاب الى ان نبحث طرق منع الحمل . ولكننا يجب ان نبحث طريقة يلجأ اليها كثير من الازواج ، ونعني بها الجماع الناقص ، او الافضاء في خارج المهبل ، ذلك بأن لهذه الطريقة علاقة وثيقة جداً بالصلات الجنسية المتساوية التي تتيح لكلا الزوجين الرضا الجنسي التام الذي سبق ان اكدناه غير مرة في فصول هذا الكتاب . إن الجماع الناقص يعني ان العمل الجنسي يستمر الى اللحظة التي يشعر الزوج فيها بأنه يكاد يبلغ القمة الشهوية ، وعندئذ يُسحب القضيب من المهبل قبل ان يحدث قذف المني ، ويكمل

الانزال في الخارج . وليس من شك في ان هذا ، في كثير جداً من الحالات ، عمل ينفرد فيه الزوج من دون الزوجة ، يعني ان الزوجة في كثير من الحالات لا تستطيع بلوغ قمة اللذة الشهوية في الجماع ، فخوف الحمل يجعلها تسلم منذ بدء الاتصال الجنسي بانها لن تشارك زوجها في ما يحصل عليه من رضا جنسي . وفي حين ان الزوج يمارس هذه العادة لما يؤانسه في زوجته من خوف من الحمل ، فانه لا يأخذ بعين الاعتبار لذتها وحاجاتها الجنسية ، إلا اذا استطاع الصبر الى ان تبلغ هي قمة لذتها الشهوية قبل ان يبلغها هو ويفضي في الخارج ، وهذا نادر ما في ذلك ريب .

ان الذي يسيطر على الموقف عندما تمارس هذه العادة هو الجهل والانانية او كلاهما . واذا لم يكن بد من اللجوء الى استعمال موانع الحمل ، فالذي ينتظر من أيما زوجين ان يكونا على درجة من الفطنة والذكاء يتمكنان معها من ان يألفا استعمال موانع تتيح للزوجة ان تكون شريكة حرة ناجحة في الجماع . وهناك وسائل لمنع الحمل قد ثبت انها اجدى من الجماع الناقص. ولا يحسبنّ القارىء ان الجماع الناقص وسيلة لمنع الحمل آمن وأسلم عاقبة من غيرها من الوسائل ، فالواقع غير ذلك . فلذة الرجل في الجماع الذي يلجأ فيه الى الافضاء في الخارج يتطلب ان لا يتم سحب عضو التناسل الا عند اللحظة الاخيرة التي يشعر فيها بانه يكاد يقذف منيّه ، مما يجعل القذف يتم ، في كثير من الاحوال ، في داخل المهبل ، دون ان تكون للرجل سيطرة عليه .

ان انتشار هذه الطريقة غير المرضية لمنع الحمل دليل على سيطرة

وجهة نظر الرجل في الجنسية الزوجية . ولا ريب في انـــه من المشكوك فيه انها تحقق اللذة المتبادلة لكلٍ من الزوجين على حدّ سواء .

وهناك نقطة اخرى لها اهميتها في الكلام على موانع الحمل . ان القيام بعمل الجماع قياماً مرضياً ناجحاً يتطلب انتباهاً غير منقسم ، منذ بدء المداعبة التي تسبقه ، الى ان ينتهي الى غايته . واي تحوّل في هذا الانتباه يقف حائلاً دون هذه الغاية . لقد قلنا سابقاً ان على الزوجين ان لا يقوما بالاتصال الجنسي بصورة آلية نظامية ، وان عليهما ، بدلا من هذا ، ان يقومـا به حسبا تقتضي رغبتهما المشتركة الناشئة عن صلتهما الوجدانية العامة . حتى اذا ما نشأت عندهمـــا الرغبة في الجماع ، واصبح كلاهما متأهبين له ، كان من المزعج ، بل من المستحيل الانصراف الى إعداد وسائل منع الحمل . وهذا ينطبق بصورة خاصة على الرجال الذين يجدون صعوبة في الحصول عـــلى الانتصاب ، او الاستمرار فيه . وهذا يوحي ، طبعاً ، بان على الزوجين ان يلجآ الى انواع الوسائل التي تتطلب اقل قدر من الازعـــاج والاعداد ، الى جانب فعاليتها ، والى وضعها في مكان قريب بحيث يمكن تناولها بسهولة تامة .

اما فيما يتعلق باختيار الوسيلة لمنع الحمل فمن المهم ان نحذّر من الاعتماد على معلومات الاصدقاء والمعارف ، حتى ولو ادّعوا انهم قد اخذوا النصيحة التي يسدونها عن طبيب . إن الاعتماد على مثل هذه المعلومات يؤدي الى انتشار استعمال وسائل لمنع الحمل ضـارة لا يمكن الاعتماد عليهـــا . يجب استشارة الطبيب نفسه في اختيار

الوسيلة الصالحة لمنع الحمل ، وكيفية استعمالها ، ويستحسن ان يكون طبيباً ماهراً ، متخصصاً في هذا الحقل .

الخبرة الزوجية قبل الزواج

يظن كثير من الشباب أن الخبرة الجنسية قبل الزواج ضرورية مستحبّة ، وأنها تساعد على التحقق بصلات جنسية ناجحة في الحياة الزوجية .

ونحن نجد من الضروري أن نبحث هذه المسألة بحثاً وافياً ، وأن ننقدها بعناية . وليس يعنينا هنا أن نبحث وجوه المسألة المعنوية والادبية ، ولكننا نكتفي فقط بالتأثير الذي يمكن ان تحدثه مثل هذه الخبرة في التعديل الزوجي المُرْضي . إن نظرة سطحية الى هذه المشكلة تجعل المرء يعتقد أن المنطق يؤيد أولئك الذين يقولون بها . فهل يؤيد الاختبار المنطقَ في هذه النقطة ؟

ليس من شك في أن الخبرة في الصلات الجنسية كانت، في بعض الحالات ، ذات فائدة في التحقق بصلة ناجحة بعد الزواج . بيد ان الحقائق ، بوجه عام ، لا تؤيدها فيما يبدو . ونستطيع ان ندرك هذا اذا ما عرفنا أن ظروف الاتصال الجنسي في العلاقات الجنسية بين الرجل وأيما امرأة أو بغيّ تختلف عن ظروف الاتصال الجنسي بزوجة يحبها . وحتى في الصلات الزوجية التي تبعد كثيراً عن المثل الاعلى ، فان الجماع هو التعبير الأقوى عن الوجدان والحب ، فضلا عن غرضه التوليدي ، إنه يتضمّن اعتباراً للشخصية ، وان كلا من الزوجين يسعى فيه الى أن يصيب شريكه من المتعة والرضا عن طريقه اكثر

مما يصيب هو نفسه .

اما في الاتصال الجنسي الذي يقوم به رجل ما ببغيّ أو امرأة لا تجمع بينه وبينها صلة الزوجية ، فان العلاقة والظروف على نقيض ما أسلفنا بصورة تامة . فالوجدان ، واعتبار الشخصية ، وعدم الاهتمام بخبرة المرأة ، إلا اذا زاد مثل هذا الاهتمام بلذته الخاصة ، إما أن تكون معدومة بالكلية ، أو ضئيلة الى أبعد الحدود . والخبرة الجنسية التي من هذا النوع تكون قبل كل شيء مركزةً في الذات ، تهدف الى غاية جسدية ، ولا تقتضي ايما درس لفنّ الحب أو الى ممارسته ، كما انها لا تكلف صاحبها مقدمات بسبيل اثارة الانفعال والعاطفة . والافراط هو القاعدة في مثل هذا النوع من الاتصال . فالرجل الذي يقضي ليلة أو ساعة مع امرأة بغي يتعمد الحصول على اكبر قدر من اللذة ، وامثال هؤلاء الرجال يميلون الى ان ينقلوا الى صلاتهم الزوجية هذا الجوّ وهذه الاتجاهات ، والافكار ، والعادات التي اكتسبوها قبل زواجهم عن هذه الطريق ، وتكون النتيجة أنهم يخربون بايديهم الوضع كله . والشيء الذي لا شك فيه أن الافراط والفظاظة والانانية التي تصدم النساء وتؤدي بهن الى البرودة واللامبالاة الجنسية مَرَدّها الى مثل هذه الخبرة الجنسية قبل الزواج .

أما الخبرة الجنسية التي تسبق الزواج ، والتي تتم بين الاصدقاء والصديقات اللواتي لسنَ بالضرورة بغايا فيجب ان لا تعتبر من ذلك النوع الذي اتينا على ذكره في الفقرات السابقة . ومهما يكن من شيء ، فانها تختلف عنه ، قبل كل شيء ، في الدرجة لا في النوع . ان

مثل هذه الخبرة تهدف ، في معظم الاحوال ، الى الحصول على اللذة الشخصية ، والاعتبار الذاتي الخاص ، ولكن الى درجة أقل . وتدل الاحصاءات على أن هذه الخبرات لا تؤدي الى نتائج سيئة كما ينتظر ، ذلك بأن تفهم كل من الرجل والمرأة لتركيب شريكه الجنسي وتركيبه الخاص ، ومعرفة العناصر الفيسيولوجية والسيكولوجية ذات العلاقة كأساس للتكييف المتبادل في الزواج - كل اولئك يساعد على تأمين زواج سعيد باكثر مما تساعد الخبرات الجنسية الداعرة ، قبل الزواج .

٥. عوامل الزواج المثالي

يجدر بنا ، بعد أن بحثنا أهم العوامل التي تساعد على عدم التوافق في الزواج ، أن ننظر إلى الزواج من وجهة النظر الايجابية . فما هي العوامل التي تساعدُ على الزواج السعيد الناجح ؟

وسيكون هدفنا أن نبني بحثنا لا على النظريات، بل على حقائق الطبيعة البشرية ، وعلى الاختبار. ولا اكتم القارىء أنني قدحصرت ملاحظاتي ، لأعوام عديدة خلت ، في حالات الزواج الناجحة ، لا في حالاته الفاشلة، لسببين اثنين: الأول أنني وجدت عدداً متزايداً من الشبان والشابات، وبخاصة الشابات، يصرحون بانهم خائفون من الزواج ، وأنهم يتطلعون إلى معارفهم فلا يجدونهم سعداء في حياتهم الزوجية، وأنهم يفضلون أن يبقوا بعيدين عن هذه الحياة إذا كانت تقف حائلاً بينهم وبين السعادة التي هم فيها . ولو صحّ هذا إذن لكان خليقاً أن يبعث على القلق . لذلك جلستُ وأخذت ورقة وقلماً وجعلت أفكر في أصدقائي ومعارفي الكثيرين ، وفي ما هي عليه حياتهم الزوجية ، وجعلتُ أحصي أولئك الذين كنت اعتقد أن حياتهم هذه ناجحة إلى درجة كبرى . وُعنيتُ بان ابحث في ذا كرتي قبل كل شيء عن الأزواج والزوجات الذين بلغوا خريف العمر على الأقل ، والذين

استطاعوا أن يظلوا سعداء في حياتهم الزوجية حتى ذلك الوقت . ولقد انتهيت الى نتيجة مشجّعة إلى أبعد الحدود ، هي أنه بالرغم من أن عدد الزيجات الناجحة الى درجة كبرى ضئيل بالنسبة إلى تلك الزيجات التي يصحّ أن نعتبرها « موفقة » ، فان هناك عدداً كبيراً من الزيجات التي قد حققت الآمال الكبيرة التي كان يتطلع اليها كل زوجين سويّين عندما اقدما على الزواج . ولا أكون غالياً اذا قلت إن هناك ، من بين هذه الزيجات زيجات تمثل الزواج في أحسن حالاته . فانا أعرف ازواجاً وزوجات بلغوا الستين أو السبعين من أعمارهم ، وهم يحبون بعضهم بعضاً حباً ما عرفوا مثله في ايام الشباب ، وترتبط بينهم صلة ما انفكّت تنمو وتقوى ،حتى أصبحت مع الزمان أحلى وأوسع وأعمق . هذه الصلة الشخصية قد مهّدت السبل وأوجدت الظروف لنمو نفس كل من الزوجين أكمل النمو وأتمه ، وأكرهت أشد مصاعب الحياة ومتاعبها على أن تساعد على قيام تناغم أقوى ، ورباط روحيّ أمتن .

ولقد شعرت أنه طالما كان هناك مثل هذا العدد الكبير من الأمثلة عما قد يصبح الزواج ، فليس هناك ضرورة تحتم التشاؤم منه ، والتردد فيه . ولا شك في أن المأساة هي أن الكثيرين الذين لم يتحققوا بالنجاح في حياتهم الزوجية كان في وسعهم أن يتحققوا به لو أن المجتمع لم يجعل على أعينهم غشاوة حين أقدموا عليه ، ولو أنه قاد خطواتهم — وعقولهم وقلوبهم — في الطريق الذي يمكنهم من بلوغ النجاح بأسهل السبل .

والذي لا شك فيه أن عاملاً من عوامل الاستياء المنتشر بين

الازواج والزوجات الشباب ، لو صحّ أن هـذا الاستياء موجود فعلاً، هو أنهم يتوقعون ويتطلبون من الزواج أكثر مما توقع آباؤهم واجدادهم وتطلبوا منه . إنهم يدخلون محراب الزواج بمثل أعلى وأرفع . وليس لديهم ، من جهة أخرى ، المؤهلات والوسائل التي تبلغهم هذا الرضا الأكبر والمثل الأعلى باكثر مما كان لآبائهم واجدادهم . إننا نجتاز فترةً انتقال مريعة في الصلات البشرية جميعاً ولعلّ فترة الانتقال في الصلات بين الجنسين أصعب من سواها ، ولذا كانت هناك حاجة كبرى الى القاء ضوء أقوى على هذا الطريق الشائك الوعر .

والسبب الثاني الذي من أجله حصرت ملاحظاتي في حالات الزواج الناجحة من دون حالاته الفاشلة، هي أنّ مثل هذه الحالات يجب أن يُبحث عنها . فالحقّ أن الزيجات الناجحة الموفّقة لا تلفت أنظار الناس اليها على الاطلاق . إن الناس لا يتكلمون عليها ولا يكادون يشعرون بها، والكتاب والمؤلفون والقصاصون لا يتخذونها أساساً لتآليفهم او قصصهم . لا ، إنما الزيجات الفاشلة التي يحدث فيها الاصطدام ، وعدم التوافق ، والألم ، والخيانة ، والهجر وأمثالها هي التي تتخذ أساساً للروايات المسرحية والسينمائية ، وتعرض على أنظار الجمهور .

إنّ العوامل الايجابية التي سنبحثها الآن هي ، بالضرورة ، تلك التي قد لعبت دورها في زيجاتٍ معروفة وموفقّة وناجحة إلى درجة كبرى .

مثل الزواج الأعلى

يتطلب النجاح في الزواج فهما صحيحاً وتقديراً حقاً لمثل الزواج الأعلى . ما هو الزواج في الحقيقة ؟ هل هو رباط قانوني ؟ هل هو اتفاقية ؟ هل هو مؤسسة اجتماعية ، أو شركة تجارية ، أو وسيلة لسكنى الرجل والمرأة تحت سقف واحد بصورة مشروعة ؟ قد يكون الزواج كل هذه جميعاً ، ولكنها تمثل الزواج بمعنى قانوني أو اصطلاحي فحسب . إنها تمثل شرائع الزواج الاجتماعية . ولكن الزواج ، قبل كل شيء ، صلة شخصية ، وحالة نفسية مشتركة ، ورباط روحي . فختم الموافقة القانونية والاجتماعية لا يستطيع وحده أن يزوّج شخصين زواجاً حقيقياً . إنهما لا يستطيعان أن يكونا زوجين بالمعنى الصحيح إلا إثر عملية نفسية مشتركة بينهما توحدهما في صلة شخصية تجعل من الممكن نمو علاقة قد يقع فيها كل من الزوجين على أغنى متع الحياة .

لقد كانت العادة ولا تزال أن يتم الزواج بطرق عديدة ، وأن ينشأ عن دوافع مختلفة . فهناك كثير من الزيجات التي فرضها الآباء على ابنائهم وبناتهم دون ان يكون لهؤلاء رأي فيها ، وكان كثير منها ناجحاً انتهت باصحابها الى السعادة ورغد العيش . وهناك أيضاً كثير من الزيجات التي نشأت عن دوافع اقتصادية ابتغاء المال ، وتجنباً للفاقة والعوز والحاجة في مستقبل الأيام ، وخوفاً من أن تمر الأعوام والسنون دون ان يتزوج الفتى أو الفتاة ، وكثير من هذه الزيجات انتهت كذلك باصحابها الى السعادة ورغد العيش . ولكن

كل اهمية روحية تصبح للزواج مردّها الى ان الزوجين قد تحققا باتحادٍ نفسي بين شخصيتيهما . يقول هاريس Harris « إن الزواج، في احسن حالاته ، شركة شخصية من الحب والاعتبار . »

إن ملاحظة الشباب والشابات لانعدام هـــذه الصلة الخالقة في كثير من الزيجات هي التي تجعلهم ، اكثر من اي شيء آخر ، يشكون الزواج ويرتابون بنتائجه .

والشاب المراهق يشعر ، غرزياً ، ان اعمق اشواق الحياة تجد طريقها الى التحقيق الكامل بالاتحاد مع زوجـــة له ، ويصح هذا كذلك في الشابة المراهقة . ولكن الشباب اليوم يميلون الى ان ينظروا الى هذا المثل الاعلى على اساس من الحقيقة . إنهم يجدون ان الطلاق في الولايات المتحدة يحـدث في زيجة من كل زيجات ست[1] . ويتضح لهم أنّ عدداً كبيراً جداً من الازواج والزوجات يستمرون في العيش معاً في عدم التوافق نفسه الذي يؤدي بغيرهم الى الفراق والطلاق . وهم يلاحظون بخاصة ان عـدداً كبيراً من الزيجات التي يصفها المجتمع بالنجاح والسعادة ، جهـــلاً بامورها الداخلية، لا تعني إلا مسكناً واحداً يأوي اليه الزوجان، ويتناولان فيه طعامهما ، مجرداً من كل جمـال او معنى روحي . والأمر الذي يدعو الى الاسف ان الشباب يميلون الى ان يقفوا عند هذا الحد ، والى ان لا يجشموا انفسهم عناء درس ذلك المستوى الارفـع من الزيجات التي اتحد الأزواج والزوجات فيها نفسياً وروحياً ، والتي

(١) يجب ان لا يفهم من هذا ان زيجة واحدة من كل زيجات ست مصيرها الفشل .

تجعل الصلة القوية فيها جميع قيم الحياة اغنى وامتع بسبب من اشتراك الزوجين في السراء والضراء ، والتي جعلت الزواج بحق « المغامرة الكبرى » ، وحققت حلمَ الشباب المراهقين ومثلهم الاعلى ، واكثر منها في كثير من الاحيان .

اختيار الزوج او الزوجة

ان بحث اختيار الزوج او الزوجة هو اكثر الابحاث المعروضة في هذا الكتاب حاجة الى التأكيد . فالاساس الانفعالي العاطفي الاجباري الذي يُبنى عليه عدد كبير جداً من الزيجات يؤدي الى تراكيب من الشخصيات تجعل عدم التوافق الزوجي نتيجة حتمية . لقد قلنا ان الزواج الناجح ليس سهل التحقيق . إنه يتضمن عملية لا نهائية من التعديل بين شخصيتين مختلفتين . ومهما تكن العوامل الاخرى التي يشترط وجودها لتحقيق السعادة في الزواج ، فيجب أن يكون هناك قبل كل شيء تناغم كاف بين الصفات الشخصية يجعل من الممكن القيام بالتعديل المشترك الضروري بسبيل إيجاد صلة قوية ورابطة مرضية . وفي زمن الخطبة يجتهد المحبان في اظهار احسن ما عندهما ، وان يبديا افضل نواحي طبيعتيهما . وعليهما ، بعد الزواج ، ان يواجها الحياة معاً ، يوماً بعد يوم ، في ظروف تكشف زوايا طبيعتهما ونواحيها غير المحبّبة . وعندئذ تمتحن طبيعة كل منهما ، حتى اذا كانتا متلائمتين استطاع الحب ان يبني صلة قوية ملهمة فوق مصاعب الحياة ومحنها ، وأن يرفع صلتهما الزوجية فوقها . اما اذا كانتا غير متلائمتين فانهما تصطدمان بطريقة ما تُميت حبهما وتفنيه .

ولقد اطلعت حديثاً على حالة يمكن ان تتخذ مثالاً على ما سبق . لقد كان كل منهما يحب صاحبه حباً ما بعده ، وكانت لهما أشواق كثيرة متبادلة — اشواق ادبية ، وفنية ، وموسيقية — ، وكانت أذواقهما في هذه الأشياء متوافقة متلائمة . وكانَ الناس من حولهما يقولون إن زواجهما سيمثل المثل الاعلى للزواج الدائم السعيد ، ولكنَّ هذين المحبين قد وجدا ، مع ذلك ، أنَّ اختلافاً أساسياً ينغص عليهما صلتهما ولا يستطيعان له تحديداً . فقد كان فيه تركيز في الذات وعدم تبصّر ، في حين كان رد الفعل عندها حساسة غريبة لهذه الصفات . ولقد وجدا أنَّ هناك حائطاً بينهما في نقاط يتطلب الحب عندها الحرية والتبادل .

وكان هذان المحبان الشابان ذكيين شجاعين ، فلم يدعا قلبيهما يؤثران في عقليهما ، وبحثا مشكلتهما في جو تسوده الصراحة والعطف ، فوجدا أنَّ عدم الزواج هو أفضل ما يفعلانه ، وكلفهما هذا القرار دموعاً غزيرةً ، ولكنَّ سعادتهما قد سلمت ، ولم يكن الثمن الذي دفعاه غالياً اكثر مما ينبغي أن يكون .

ومن المسلّم بهبوجه عامّ ان الحبّ الصحيح المتبادل ضرورة اولى للزواج الناجح . ولقد أكدنا فيما سبق أهميته في المثل الأعلى من الزواج . والمساعدة التي يحتاجها الشباب هي في التفريق بين الحب الصحيح والحب الزائف . فالجاذبية الجسدية والتناغم بين الزوجين امران لا منجى منهما ، فلا يجب أن يغرب هذا عن بال أحد . إن الزواج ليستقر على هذا الأساس البيولوجي . ولكنَّ الجاذبية الجسدية وحدها ، مهما كانت قوية ، لا تكفي ابداً !

إنّ هذه الجاذبية، إذا لم تصاحبها عوامل الحب الروحية ، تستطيع أن تنقلب بعد عام او شهر الى شبعٍ ، ولا مبالاة ، واشمئزاز ، وكره . انّ الحب الصحيح هو استجابة وجدانية لشخصية الحبيب الكاملة ، استجابة ممزوجةٌ بالاحترام والثقة المطلقة . فليدرك هذا الذين هم على أهبة الزواج ، قبل أن يقدموا عليه .

ولكن حتى الحب الصحيح لا يؤمن السعادة بالضرورة . يجب أن يكون هناك ، في الاساس ، درجة كبرى من التوافق والتلاؤم بين الشخصيتين بحيث ينتهي الزواج الى النجاح ، ويجعل من الممكن اجراء تعديل متناغم. ويجب ان نحذر هنا من توقع الكمال، فالطبيعة البشرية في احسن حالاتها تمتاز بكثير من نواحي الضعف . ولكنّ لها ، لحسن الحظ ، اذا ما صاحبها وجدان صحيح غير اناني ، وتقدير لما يتضمنه الزواج ، وارادة على التعديل ، قوى عظيمة على هـذا التعديل .

ولسنا نقصد الى ان نبحث بالتفصيل الاعتبارات التي تدخل في موضوع اختيار الزوج او الزوجة اختياراً حكيما ، فان بحثاً كهذا يتطلب كتابا كاملا ، فضلاً عن ان هناك كتباً عديدة كتبت في هذا الموضوع . وسنكتفي بان نذكر باختصار بعض الامور الرئيسية الاخرى .

الصحـة الجيدة

تتطلب الحياة ، من جميع النواحي ، قـدراً معقولا من القوة الجسدية . ويجب أن لا يُنتظر ان تخلو الحيـاة من مرض يصيب

الانسان من حين الى آخر . ولكن مثل هذه الامراض، اذا ما ساد علاقة الزوجين تناغمٌ والفة ، تزيد في قوة هذه الالفة وهذا التناغم ، وتدعو احتياطيٌ التضحية وبذل النفس . غير ان الزوج والزوجة اللذين يشكوان المرض دائماً ، والمصابين بعصاب فطريٌ ، خليقان بأن لا ينتهيا الى الزواج السعيد المعدّل بصورة دائمة . والافتقار العام الى الصحة والقوة يؤثر في التناغم الجنسي ، ويحد من العلاقة الجنسية من جميع النواحي الاخرى ، ويجعل التناغم المزاجي الدائم عسيراً بصورة غير اعتيادية . إن الزواج الناجح ، كالحياة كلها ، يتطلب اساساً جسدياً . فمن المهم اخذ هذا الاساس بعين الاعتبار ، لا من الناحية الصحية الظاهرية فحسب ، بل من ناحية قوة العائلة وشدتها المتوارثتين مدةً لا تقل عن الجيلين .

توافق المزاج

درس الدكتور دافيس حالة عددٍ من الزوجات ، وتبين له أن هناك ثلاثة وعشرين سبباً للشقاء الزوجي. وفي رأس هذه الأسباب عدم توافق المزاج وتضارب المصالح ، فقد كان السبب في شقاء ثلاثين بالمئة من مجموع هذه الحالات . ويقول لتشتبارجر Lichtenberger : « هناك امزجة واستعدادات لا يلائم بعضها بعضاً عضوياً ، ولذا يجب ان تختبر الامزجة قبل الزواج ، لا عندما يكون المحبان في احسن حالات سلوكهما ، بل في اوضاع تجريبية كالتي عليهما ان يواجهاها في حياتهما الزوجية .

وهنا ايضاً يجب أن لا ننتظر الشيء الكثير . فلا داعي لأن

يكون تناغم المزاجين كاملاً ممتازاً . والحق أنه نادراً ما يكون كذلك . بيد أنه يجب أن يكون هناك توافق في المزاج الى درجة تجعل من الممكن ، إذا ما صاحب هـذا التوافق ذكاءٌ ومودّةٌ وعطف وارادة على التعديل، قيام صلات زوجية متناغمة. وتعارض المزاجين قبل الزواج إنذار يجب أن يوليه كل من الخطيبين اهتماماً واعياً جدياً .

المصالح والأشواق

انّ صميم العلاقة الشخصية هو تقاسم المصالح والأشواق المشتركة بين الزوجين . ويجب ان يكون للزوجين ، بسبيل إنماء علاقـة قوية ، عـدد كافٍ من المصالح والاشواق التي يستطيعان ان يتقاسماها ، وعدد كاف من الأشياء التي يلذ لهما القيام بها معاً ، كما يجب ان يقدما لعلاقتهما مادةً تعيش عليهـا . إن الافتقار الى المصالح والاشواق المشتركة يميـل الى إبعاد الزوجين بعضهما عن بعض ، والى النزول بعلاقتهما الى درك اسفل .

وهذا لا يعني ، كما يظن في كثير من الاحوال ، ان الحياة كلها يجب ان يتقاسمها الزوجان في شركتهما الزوجية . فالحق ان عدد الاشواق والمصالح اليومية التي يتقاسمها معظم الازواج والزوجات محدود تماماً . يقول هاريس : « إن هناك ، حتى في افضل الظروف والاحوال ، خبرات لا يتشاطرها الزوجان ، كما أن هناك عـدداً منها لا يمكن لهما ان يتقاسماها . » ويزيد فيقول ان العلاقة الزوجية تتضمن المصالح والاشواق التي يتقاسمها الزوج والزوجة ، وان

نجاحها يعتمد بصورة عامة على مقدار الرضا الذي يحصلان عليه من هذه المصالح والأشواق . « قد يظن المرء أن العلاقة الزوجية بين الرجل والمرأة تزداد نجاحاً كلما زاد عدد الاشواق والمصالح والرغبات التي يتقاسمانها . » يقول ولتر لبمان w. lippmann معلقاً على هذه النقطة : « إن المحبين اللذين ليس لهما ما يفعلان سوى ان يحب احدهما الآخر ، هما في الحق شخصان لا يحسدان . فالحب سريعاً ما يزول اذا لم تصاحبه اشياء اخرى . إنه لا يدوم إلا اذا كان المحبّان يحبان معاً اشياء كثيرة ، ويموت إذا لم يحبا سوى بعضهما بعضاً . فعلى الازواج أن يدركوا أن الحب لا يمكن أن يُعزل عن مشاكل العيش ، وهذه لعمري هي الحكمة التي تقوم عليها مؤسسة الزواج .

تنازع الرغبات والأذواق

إنّ ما نريد وما يطيب لنا هو اكثر أهمية مما نعرف ، ذلك باننا مقيدون برغباتنا واذواقنا باكثر مما نحن مقيدون بمعرفتنا . ومن هنا كان الاختلاف بين الأذواق أكبر خطراً من الاختلافات والفروق العقلية والثقافية . فتباين الأفكار، وتباعد وجهات النظر ، إذا ساد الجوّ روحُ التساهل والتسامح ، قد يساعدان على تقوية حيوية العلاقة الزوجية وتنميتها . ولكنّ اختلافاً كبيراً في الأذواق والرغبات والأشواق قد يشكل خطراً على العلاقة الزوجيّة .

التناغم في العادات

ليس البشر إلاّ مخلوقات عادات. فعندما نبلغ الخامسة والعشرين من أعمارنا تكون عاداتنا قد تأصلت فينا . على المحبين أن يدركوا هذا ادراكاً كلياً ، وعليهم أن لا يخدعوا أنفسهم باعتقادهم أنّ في وسعهم أن يجعلوا محبيهم يتغلبون على هذه العادات . وعلى الخطيبين أن يتأكدا من أنّ عادات كلٍ منهما قابلة للتعديل بحيث تصبح متلائمة مع عادات الفريق الآخر . ولسنا بحاجة إلى أن نقول ان العادات هي المصدر الأول للاحتكاك في العلاقة الزوجية . فالزوجة النظيفة ، مثلاً ، التي تزعجها قذارة زوجها، وإهماله ، وعدم ترتيبه ، قد لا تستطيع احتماله أمداً طويلاً . وليس يخفى أن كثيراً من حوادث الطلاق مردّها إلى مثل هذه الأسباب التي قد تبدو تافهة في نظر البعض ، في حين أنها ، في الحق ، ذات خطر عظيم .

تناغم صفات الشخصية

لسنا بحاجة الى ان نحدد صفات الشخصية ، ولكننا نذكر منها الشرف ، والاستقامة ، والنزاهة ، والمبادرة، والشجاعة، والاخلاص، والايثار ، والتبصّر ، وغيرها من الصفات التي اذا اجتمعت شكلت شخصية جذابة ذات قيمة . ومع ذلك فيجب ان لا يتوقع ايٌّ من الزوجين الكمال في صاحبه ، بل عليه ان يدرك انه هو نفسه لا يخلو من نواحي الضعف التي لا يكاد يخلو منها البشر إطلاقاً ، وان ينمي روحاً من التسامح والاغضاء عن نواحي الضعف في شريك حياته . ولكن من الواجب الضروري بسبيل السعادة الدائمة، ونجاح

العلاقة الزوجية المطرد ، ان تكون العناصر التي تكوّن شخصية كل من الزوجين من ذلك النوع الذي يكفل احترام الآخر ، والاخلاص له ، والاعجاب به . ان الحب ، والعلاقة الملهمة ، يجب ان تقوما ، قبل كل شيء ، على اساس متين من الاحترام والثقة .

لقد بحثنا فيما تقدم ، باختصار ، اسس التناغم ، فيما يتعلق ببعض من الصفات المهمة للشخصية ، هذه الصفات التي يجب ان تؤخذ بعين الاعتبار في اختيار شريك الحياة . انها تمثل سلسلة من التعديلات الاساسية التي يجب ان تُجرى في الزواج .

الخطبة

ان المعاشرة التي تؤدي الى عقد الخطبة بين الشاب والفتاة هي الوسيلة الرئيسية بسبيل اكتشاف كل منهما مزايا نفسه وصفاتها ، ومزايا صاحبه وصفاته . ان هذا دور يجب ان توزان فيه ، بصراحة وإنصاف ، جميع العوامل التي لها علاقة باختيار شريك الحياة ، وأن يدرك فيه كل من الشاب والفتاة أن سعادة الحياة تتوقف الى حد كبير على حسن اختياره او اختيارها . ومن المهم ان تتضمن العلاقة إبان دور المعاشرة التي تمهد الى الخطبة ممارسة عدد كاف من الاشواق والنشاطات والاوضاع التي من شأنها ان تكشف النقاب عن شخصية كل من المحبَّين وصفاتها . انه دور اختبار لاستجابات الفريق الآخر وارجاعه ، فضلاً عن كونه دور اختبار لأرجاع الشخص عينه واستجاباته للفريق الآخر . ويذكر القارىء اننا قصصنا عليه حكاية ذينك المحبين اللذين وجدا ، بعد المعاشرة ، انهما لن يكونا سعيدين في

حياتهما الزوجية، فاختارا، مكرهين ، الانفصال من أول الطريق. إنهما يقدمان مثلاً ممتازاً على الحكمة وبعد النظر .

أما طول عهد الخطبة وقصره فيعتمد على وضع الخطيبين في كل حالة بعينها . بيد ان الخطبة ، من وجهة النظر التي تتعلق بالاختيار الصحيح ، يجب ان تكون طويلة بحيث يستطيع الخطيبان أن يقفا إبانها على صفات شخصيتهما ، وأن يقررا ما اذا كانت هذه الصفات متلائمة بعضها مع بعض . حتى إذا ما تأكد الخطيبان من هذا كله أمكنهما أن يختصرا عهد الخطبة . ولكنّ الخطبة ، من وجهة النظر التي تتعلق بالعامل الجنسي ، لا ينبغي ان تكون طويلة الأمد . وهنا يجب أن نلاحظ أن الخطبة هي من الناحية البيولوجية حالة شاذة . فالعلاقة بين الخطيبين تميل إبانها الى أن تغري الدوافع الجنسية وتثيرها ، في حين انها لا تسمح بانطلاقها انطلاقاً سوياً ملائماً. وليس نادراً أن يجد الخطيبان نفسيهما في حالة توتر شديد ، ضار بالصحة في معظم الاحوال . وقد تتعارض حسنات الخطبة الطويلة مع سيئاتها ، ولذا كان من الواجب أن نأخذها جميعاً بعين الاعتبار .

وفي حين أن الخطبة قد تسمح بدرجة من الألفة بين الخطيبين قد لا تكون ملائمة أو صالحة قبل الخطبة، فمن المستحب ، من حيث الصحة الجسدية والانفعالية ، ومن حيث الحفاظ على أبدع قيم الصلة بين الخطيبين ، أن لا يتجاوزا الحدود، وأن لا يجعلا للشهوة الجنسية سلطاناً عليهما .

وهناك عددٌ كبيرٌ من الشبان والشابات الذين تخطوا في عهد خطبتهم هذه الحدود، والذين سمحوا للشهوة بان تسيطر على علاقاتهم

إبانها . ففي مجموعة هاملتون ، مثلاً ، اتصل مـا يقرب من الثلث بعرائسهم جنسياً قبل الزواج . وإنّ درس كلٍ من هذه الحالات يظهر بوضوح أنّ هذا الاتصال قد حدث في معظمها عن غير عمد ، ولكن لأن المحبين قد أضاعا رشادهما تحت تأثير الشهوة الجامحة المثارة.

ويدّعي البعض أحياناً أنّ الخروج عن الحدود في عهد الخطبة ضروري بسبيل اختبار الاستجابات الجسدية التي يظهرها كلٌ من المحبين . بيد أنه ليس من الضروري ، بسبيل هذا ، ان تثار القوى الشهوية إثارة كاملة تامة . إن باستطاعة الخطيبين ان يتأكدا من الاستجابات الجسدية قبل الوصول الى المنـــاطق العميقة بزمن طويل .

ونحن ننصح لكل خطيبين ، ونلح في النصح ، بأن يبحثا معاً بصراحة كلية الجانب الجنسي من العلاقة الزوجيـــة ، وذلك لكي يتسنى لهما ان يقارنا بين اتجاهاتها ، ووجهات نظرهما، وان يتقاسماها. كذلك من المستحب ان يقرأ كل من الخطيبين لنفسه ، او ان يقرآ معاً ، كتابا او كتابين من افضل الكتب التي تبحث الناحية الجنسية من العلاقات الزوجية ، وان يتناقشا فيما يقرآن . إنّ لهذه المناقشة تأثيرها في اتجاهات كل منهما ، فضلاً عن انها تتيح لهما الوقوف على معلومات جديدة ، وإصلاح الخطأ فيما كانا يعتقدان قبلاً . والحق أنه ليس هناك شيء اقدر على إزالة التوتر والمخاوف والارتباكات، وعلى خلق جوٍ من الثقة بين الخطيبين، من قراءة كتب كهذه ومناقشتها . ولقد أكد لي كثير من المتزوجين والمتزوجات انه لم يكن في عهد خطبتهم شيء اكبر قيمة من النتيجة التي أدى اليها البحث الصريح ،

والدرس المشترك، وهي وصولهم الى تفهم تام لهذه المشاكل الاساسية. فالبحث الصريح والدرس المشترك يساعدان على تخفيض مشاكل التعديل الى الحد الاقصى في معظم الاحوال، هذه المشاكل التي تظهر في الأشهر الأولى من الزواج، ويساعدان كذلك على التحقق بصلة مرضية من اول الطريق.

والاتجاهات التي يجب ان يصطنعها الخطيبان، فيما يتعلق بالجنس، يجب أن تنطوي على النقاط التالية:

١ – ان ينظرا الى الجنس كقوة طبيعية سوية في الحياة، وان يعتقدا ان دوافعه ليست دنيئة ولا سافلة، إلاّ إذا كانت الدوافع الى الأكل او الموسيقى او اية رغبة أخرى تنشأ عن وظائف الحياة الطبيعية، دنيئة سافلة. انّ عليهما ان يدركا ان الدافع الجنسيّ، اذا ما استعمل بحكمة، وكُيّف حسب أشواق الحياة ومصالحها، يساعدُ على خلق أشياء كثيرة في حياة الفرد، وفي الصلات الانسانية.

٢ – عليهما ان يتقبلا الحقيقة التي تقول بان الجنس، في الحياة البشرية، ليس وسيلة للتوليد فحسب، كما هي الحال في الحياة الحيوانية، بل هو ايضاً، وبصورة خاصة، وسيلة للتعبير عن الوجدان. وعليهما ان يدركا ان العمل الجنسي، في السويّ من الاحوال، هو المعبر الاول عن الحب.

٣ – عليهما ان يعلما ان الاتصال الجنسي في الزواج ليس مباحاً فحسب، بل مستحباً كذلك. ويعود السبب في هذا، اولاً، الى انه، اذا مارسه الزوجان باعتدال، يقوي الصحة والرفاهية

الجسدية ، والذهنية ، والانفعالية ، والى انه ، ثانياً ، ينمي الحب ، ويخلع عليه ثوباً من الحيوية والقدرة على البقاء .

٤ - عليهما أن ينظرا الى الجسم البشري السوي كمخلوق نبيل في كليته ، وأن يعتقدا أن اعتبار أي من اجزائه دنيئاً او باعثاً على الخجل امر شاذ مغلوط . وعليهما كذلك أن يدركا ان الممارسة المشتركة « لوظيفة اللعب في الجنس » في فترة المداعبة التي تسبق الاتصال الجنسي تقتضي ان لا تعتبر اية منطقة من مناطق الجسم منطقة حراماً لا يجوز لمسها او مداعبتها .

٥ - يجب ان يعلما ان إطلاق جميع قواهما الشهوية في ابان الاتصال الجنسي مستحب وضروري .

٦ - يجب ان لا يسمح الزوجان لقدر كبير من الحشمة بان يقف حائلا بينهما وبين رغباتهما الجنسية . (ونحب ان نلاحظ اننا لا نقصد بهذا ان يطرح الزوجان الحشمة جانباً ، ولكننا نقصد الى القول ان الحشمة الزائدة ليست ضرورية بحال .)

٧ - عليهما ان يدركا ان صالح جميع من لهم علاقة بالتوليد ، بما فيهم الاولاد ، يقتضي ان ينظم الحملُ وان يضبط بحكمة .

هذا مختصر لما يجب ان يكون عليه اتجاه الزوجين . إنه يمثل الحد الادنى الاساسي الذي يجب ان يقدّر اولئك الذين يقتربون من الزواج على اساسه مشاعرهم وآرائهم . حتى اذا ما اصطنعوه شقوا طريقهم بسهولة ويسر الى السعادة الزوجية التامة الدائمة . ولكن هناك اموراً اخرى يجب ان تتحقق بسبيل الوصول الى هذه السعادة ، بيد اني لست اشك في انه اذا استطاع الزوجان ان

يتحققا بتلك الوصايا السبع الاساسية التي مر ذكرها ، هان عليهم ما تبقى .

الفحص الطبي قبل الزواج

يجب ان يتقدم الخطيبان قبل زواجهما الى فحص طبي جسدي دقيق . ومن المستحب حقاً ان يسبق اعلان الخطوبة فحص طبي عام ذلك بأن الصدمة قد تكون أخفّ وطأة على الخطيبين ، وعلى كل من له علاقة بالامر ، اذا كشف الفحص عن ايما عائق يقف حائلا دون اعلانها .

والفحص الطبي قبل الزواج مهم للاسباب التالية : إنه يكشف القناع عن المرض الخفي ، وعن الحالات الجسدية ، والميول الوراثية التي تجعل الزواج وقتياً ينتهي الى الفراق المحتوم . وهو كذلك يكشف القناع عن جميع الحالات التي يجب ان تُداوى قبل الزواج ويتيح للخطيبين الوقوف على النصائح والارشادات الطبية التي يتطلبها التعديل في الزواج . ولقد اظهرنا سابقاً أن اولئك الرجال والنساء ، في مجموعة ديكنسن ، الذين فحصوا فحصاً طبياً ، وقدمت اليهم النصائح والارشادات الطبية قبل زواجهم ، قد استطاعوا ان يكيفوا انفسهم في حياتهم الزوجية بافضل مما استطاع غيرهم ممن لم يحصلوا على مثل هذه الارشادات ان يكيّفوها . ولذا كان من الواجب الضروري ان تلجأ المرأة الى طبيب مولد ، وان يلجأ الرجل الى طبيب اخصّائي بالامراض البولية التناسلية ، فهما بهذا خليقان بان يحصلا على اكبر قدر ممكن من المساعدة والمعونة .

ويجب ان يكون الفحص الطبي دقيقاً بحيث يسبر غور الآلة الجنسية ، من وجهة النظر التي تتعلق بالاتصال الجنسي الناجح . فقد يكون في قلفة قضيب الرجل خلل يتطلب الاصلاح ، كأن تكون طويلة او ضيقة ، مما يجعل اجراء عملية الختان امراً مستحباً او ضرورياً . ولقد وقفت شخصياً على حالات كثيرة من هذا النوع ، وايقنت ان التهيج الذي ينشأ عن تراكم الأوساخ تحت القلفة الضيّقة سببٌ من اسباب النرفزة والاختلالات النفسية . اما في المرأة فقد تظهر التحامات ، حول البظر ، وقد تحدث تغييرات في مواضع الأعضاء التناسلية ، وحالات عديدة أخرى ، من مثل تصلب غشاء البكارة الى درجة تجعل تمزيقه عند الجماع الأول صعباً يبعث على الألم الشديد. هذه حالات يجب ان تُعرف قبل الزواج ، لكي يتسنى للمرأة اصلاحها على يدي طبيب حاذق ماهر . وكثيراً ما يلقى في روع النساء الصغيرات انهن اصغر من أن يحملن الأطفال ، او انهن لا يصلحن للاتصال الجنسي بالرجال . ويمكن لامثال هؤلاء النساء ان يتأكدن من كل هذا عن طريق القياسات التي يقوم بها الطبيب المولّد .

ويجب ان يهدف الفحص الطبي قبل الزواج الى معرفة ما اذا كان احد الخطيبين مصاباً بمرض زهري ما . إن هذا يحمل الى نفسيهما الاطمئنان الى مستقبل علاقاتهما الزوجية . ولقد ذكرنا فيما سبق انه يجب ان لا يتزوج اي رجل كان مصاباً بالتعقيبة او السفلس ، ولو مضى على إصابته بهما زمن طويل ، إلا اذا فحص طبياً على يدي طبيب ماهر ، واثبتَ الفحص انه قد شفي تماماً ،

وانه لا يمكن ان ينقل الى زوجته المرض عن طريق العـــدوى . وسيقدّر القارىء أهمية هذا الامر عندما يذكر أن ديكنسن وجدان ٩٤ حالة من الحالات الـ ١٠٩٨ التي درسها كان اصحابها مصابين بمرض زهري . وهذا يعني ان امرأة او رجلاً واحـداً من كل اثني عشر رجلاً او اثنتي عشرة امرأة كان مصاباً بهذا النوع من المرض. وبسبيل إيضاح الحقيقة المرة نقول ان ديكنسن قد وجد ان عـدداً كبيراً من الرجال والنساء الذين انتهوا الى الطلاق ، كانوا مصابين بمرض زهري ما .

ولقد اصبح الحصول على شهادة طبية عند بعض الشباب والشابات تثبت سلامة اجسامهم وقدرتهم على الزواج امراً ضروريا لحفظ السمعة ، ولأراحة بال الفريق الآخر. كما ان القانون يحتم في ايامنا هذه الحصول على مثل هذه الشهادة الطبية ، بيد أن على الخطيبين أن لا يجعـــلا القانون حافزهما الى هذا العمل ، بل سلامتهما الشخصية ، والعائلية ، وسلامة المجتمع .

الالمام بالمعلومات

لقد أكدنا مراراً وتكراراً اهمية الألمام بالمعلومات الجنسية ، واظهرنا النتائج السيئة المريعة التي يؤدي اليها الجهـل والمعلومات المغلوطة . وإذن فليس هناك ما يدعونا الى التوسع في هذه النقطة مرة أخرى . إنّ الحقائق التي قدمناها يجب أن تجعل من الواضح أنه إذا أحسن الشاب اختيار شريكة حياته ، وأحسنت الشابة اختيار شريك حياتها ، فانّ الزواج الناجح يعتمد قبل كل شيء على أساس

معين من الاتجاه. والتفهم نفسه يساعد كثيراً في إصلاح الاتجاهات الخاطئة .

لقد درس دافيس Davis حالات ١١٦ امرأة كنّ يعتبرن زواجهن سعيداً ، فوجد أن ٥٧٫٥ بالمئة منهن كنّ قد تلقين قبل زواجهن إرشادات خاصة تتعلق بالناحية الجنسية من الزواج . ودرس ايضاً حالات ١١٦ امرأة أخرى لم يكن سعيدات في زواجهن ، فوجد أن ٣٧ بالمئة فقط منهن كنّ قد تلقين قبل زواجهن مثل هذه الارشادات . ولكنّ الاعداد والأرشادات التي تسبق الزواج كثيراً ما تكون جزئية ، بحيث يمكن أن تعتبر غير كافية من وجهة النظر الحديثة . لقد ذكرت ٢٥٧ امرأة من ٤٣٨ امرأة ، او ما يقرب من ٥٨ بالمئة ، انهنّ دخلن الحياة الزوجية دون ان يعرفن شيئاً عن طبيعتها، وأنهنّ لو حصلن على الاعداد والارشادات اللازمة قبل زواجهنّ ، إذن لكان في وسعهن ان يستعنّ بها في تعديل حياتهن . وكثيراً ما نسمع النساء يقلن : « لقد كان في وسعي ، لو أني حصلت على الاعداد الكافي قبل الزواج ، ان اوفّر سنين طويلة من التعديل الشاق. » او « لقد كان في مكنتي ، لو أني حصلت على الاعداد الكافي قبل الزواج ، ان لا اسيء الحكم على زوجي ، وان اتجنب سنين عديدة من الشقاء . »

اما الامور التي وجد ديكنسن ان معظم الشبان والشابات يجهلونها عند دخولهم محراب الحياة الزوجية فهي :

١ — علم بنية المرأة .

٢ — فيزيولوجية المرأة ، وخصوصاً وظيفة الطمث والتبويض،

وسائر الدور التناسلي ، واهميتها جميعاً من الناحيتين الذهنيـــة والانفعالية .

٣ – نظرية العلاقة الجنسية النفسية .

٤ – الطرق التي تؤدي الى فضّ غشاء البكارة في ايام الزواج الاولى ، دون ان يسبب ألماً او ضيقاً .

٥ – الفرق بين الرجال والنساء .

٦ – وسائل ضبط الحمل .

وواضح ان ديكنسن يتكلم من وجهة نظر المرأة . إن من المهم ان يتفهم كل من الشريكين ، قبل الزواج ، جميـع ما يتعلق بعلم الجنس في الرجل والمرأة جميعاً . ونحب بدورنا ان نضيف الى هذه الامور السبعة امراً آخر ، هو الالمـام بطبيعة الامراض الزهرية ، وكيفية انتشارها ، ونتائجها[1] .

ولسنا نرى بدّاً من ان نعيـــد مرةً اخرى ان ثقافة كل من الخطيبين يجب ان تساعده على فهم الفروق الكائنة بين تركيبي الرجل والمرأة الجنسيين النفسيين ، وذلك لكي يتسنى لهما مباشرة التعديل الزوجي على اساسٍ من حقيقة طبيعة كل منهما الاساسية ، لا على اساس مايعتقد كل منهما انهـا عليه ، كما يحدث في معظم الحالات .

النظام الجنسي

على الزوجين ان يبدآ علاقتهما الجنسية بداءة صالحة ، وان

(١) جاء بحث الامراض الزهرية في اكثر من كتاب من سلسلة الثقافة الجنسية التي اصدرتها الدار ، فيحسن الرجوع اليها .

يعدلاها بنجاح في الأسابيع والأشهر الاولى التي تعقب حفلة الزفاف. وعليهما بعد ذلك أن يسعيا تدريجياً إلى اتباع نظام خاص من شأنه أن يساعدهما على تحقيق رغباتهما وحاجاتهما معاً . ولسنا نرى بداً من أن نذكر العروسين بان عليهما أن يدركا أن الوصول بالعلاقة الجنسية الى الكمال امر يتطلب وقتاً قد يكون طويلاً، وان الصبر والتسامح والتعاون امور ضرورية اساسية . فاذا كانت بداءة العلاقة الجنسيّة بينهما طيبة ناجحة ، أمكنهما ان يتطلعا إلى المستقبل بشجاعة وثقة . بيد انهما يجب ان لا يظنا انهما قد ربحا المعركة كلها ، فان امامهما اشياء كثيرة يجب ان يتعلماها ، وتعديلات جمة عليهما أن يقوما بها طول الحياة حسبما تقتضي الحاجات والرغبات والظروف المتبدّلة

والزوجان بحاجة الى ان يضعا هدفهما الجنسي امامهما واضحاً . وهذا الهدف هو الرضا المتبادل الذي يتم عن طريق بلوغهما معاً قمة لذتهما الشهوية في الاتصال الجنسي . فاذا كانَ مقدراً للزوجين أن لا يتحققا ابداً بهذا المثل الأعلى ، كان عليهما ، مع ذلك ، أن لا يتوقفا عن بذل الجهد المشترك بسبيل بلوغه وتحقيقه .

ولنذكر دائماً ان الرباط الزوجي الاساسي رباط نفسي روحي . أما اذا كان غير هذا ، فليس الزواج حقيقاً بهذا الاسم . إن غرضنا هو أن نجعل الاختبارات الجنسية تساعدنا في بلوغ أهداف روحية .

وعندما يتأكد العروسان من أن روح التناغم يسود علاقتهما الجنسية ، يبقى عليهما أن يتبعا أسلوباً من شأنه أن يبقي على ذلك التناغم ، وينميه . إنّ الحذق والمهارة في هذا الفن ضروريان في كل ناحية من نواحي العمل الجنسي . فما هي هذه النواحي ؟ إن علينا ،

لكي نستطيع أن نصف المثل الاعلى للعمل الجنسي كله أن نقسمه الى ثلاث مراحل متتابعة : مرحلة المداعبـــة التي تسبق الاتصال الجنسي ، ومرحلة الاتصال الجنسي نفسه ، ومرحلة الاسترخاء التي تعقبه . ونحب أن نؤكد أن التحقق بالمثل الأعلى للاتصال الجنسي يقتضي أن لا تهمل أي مرحلة من هـــذه المراحل ، أو يغض من قدرها .

لقد أفضنا ، فيما سبق ، في الكلام عن المرحلة الاولى : مرحلة المداعبة التي تسبق الاتصال الجنسي ، وأظهر لنـــا درس الفرق في القدرة على التهيج بين الرجال والنساء أهمية هـذه المرحلة الأولى ، وبخاصة من وجهة نظر المرأة . إنها تساعد على إنماء مزاج انفعـــالي مشترك ، وعلى إثارة استجابات الزوجة الشهوية بحيث تستطيع أن تدخل المرحلة الثانية وهي أقرب ما تكون إلى حالة الزوج عندمـا يدخلها . وهي تساعد كذلك على جعل أعضاء المرأة وأعضاء الرجل الجنسية في الحالة الفسيولوجية التي يتطلبها الاتصال السوي .

ونودّ ان نؤكد مرة اخرى أن المداعبة التي تسبق الجماع يجب ان تكون متبادلة مشتركة . يجب أن يساهم فيها الطرفان منذ البداية ، ذلك بأن هذه المساهمة تقوّي استجابات الطرف الآخر ، ولا يمكن أن يكون هناك استجابة كاملة ولذة تامة إلا اذا اشترك الزوجان معاً في هذه المداعبة .

والمرحلة الثانية ، مرحلة الاتصال الجنسي نفسه ، تبـدأ بولوج القضيب المنتصب انتصابا كاملا إلى المهبل . ثم يعقب الولوج بعـــد قليل حركات يقوم بها الزوجان معاً ، وتقوى بصورة تدريجية كلما

اشتد الشعور الجنسي وازداد . وتنتهي هذه المرحلة ببلوغ قمة اللذة الشهوية التي يصاحبها قذف المنيّ بطريقة غير إرادية . ويمكن أن تمتد هذه المرحلة من بضع دقائق إلى ساعة كاملة ، حسبما تقتضي الرغبة ، وتسمح الطريقة المتّبعة .

أما عدد المرات الذي يجب أن يمارس فيها الزوجان الاتصال الجنسي فيختلف باختلاف كل حالة بعينها . هذا العدد يجب ان يقرره الزوجان معاً ، إذا ارادا ان يسود التناغم علاقاتهما الجنسية .والزوج في معظم الأحوال يرغب في الاتصال الجنسي بأكثر مما ترغب الزوجة فيه ، ولو أن هناك حالات تشتاق فيها الزوجة اليه باكثر مما يشتاق الرجل . ونادراً ما تتعارض رغبات الرجل والمرأة ، وتختلف حاجتهما الى الاتصال الجنسي ، اذا كانا يبلغان قمة اللذة الشهوية بانتظام .

وهناك عدد ليس بالقليل من الرجال الذين يعتقدون ان كلّ ظهور في الدافع الجنسي ينشأ تلقائياً يجب أن يرضى ، أو من حقه ان يُرضى . هل يجب أن يتخذ كل انتصاب يحدث في الليل ، مثلاً ، عذراً في إيقاظ الزوجة من نومها العميق مرة أو أكثر ، للقيام بالاتصال الجنسي ؟ إن للطبيعة البشرية حدودها . قد يكون من المستحب أن يستيقظ الزوجان من نومهما إذا كانت بهما رغبة مشتركة في الجماع ، ولكنه مستقبح أن يوقظ أحدهما الآخر لأرضاء حاجة آلية . يجب أن يدرك الرجال ان الانتصاب الذي يحدث تلقائياً في الليل مسبب عن امتلاء المثانة ، لا عن توتر جنسي غدّي . كل ما على الرجل ان يفعل بسبيل التخلص من الانتصاب هو أن يفرغ المثانة .

وتكشف أبحاث هاملتون وديكنسن أن الحد الادنى لعدد

المرات التي يقوم فيها المتزوجون بالاتصال الجنسي هو مرة واحدة كل عام ، وأن الحد الأقصى هو مرةٌ واحدة ، أو مرات عدة ، كلّ ليلة . أما المعدل الذي تظهره ابحاث هذين العالمين فيتراوح بين مرتين اثنتين ومرات ثلاث كل أسبوع . ولسنا نقترح على السويين من المتزوجين أن يتقيدوا بهذا المعدّل ، بل أن يتخذوه نقطة الشروع في احدى الجهتين حسبا تقتضي رغباتهما وحاجاتهما المتبادلة . إن كلاً من الحدين الادنى والاقصى اللذين ذكرناهما يؤثر في الفرد العاديّ ، ولسنا ، من جهة أخرى ، نعرف ما هو المعدّل في مجموعة كبيرة من الزيجات التي يسودها التعديل الجنسي الناجح .

وأما المرحلة الثالثة ،، مرحلة الراحة ، فتبدأ بعد أن يبلغ الزوجان قمــة اللذة الشهوية . عندها يستريح الزوجان ، وينعمان بنوم هادىء ، أحدهما في ذراعي الآخر . هذا إذا كانا يحبان بعضهما بعضاً . بيد أنه ليس بالنادر أن يدير الرجل ظهره الى زوجته بعد الانزال ، ولسنا نذيع سراً اذا قلنا ان مثل هذا العمل يصيب كثيرات من الزوجات في الصميم .

هذه هي العوامل التي تنتهي بالزوجين إلى المثل الاعلى في الزواج ، وهي خليقة بأن يولياها من الاهتمام والعناية أكبر قدر مستطاع .

انتهى

الى القراء والمشتركين

•

اعتزمت « دار العلم للملايين » اجراء تعديل في أثمان اجزاء السلسلة السيكولوجية ، وذلك بتخفيضها من ليرة لبنانية إلى ستين قرشاً في سورية ولبنان ، والى سبعين مليما او فلساً او ملا في سائر البلاد العربية .

وإنما يسري مفعول هذا التخفيض ابتداء من الجزء القادم (السادس عشر) على ان تبقى اثمان الاجزاء السابقة (من الاول حتى الخامس عشر) على حالها ، اي ليرة لبنانية للنسخة الواحدة في سورية ولبنان ، ومئة مليم او فلس او مل في سائر البلاد العربية .

وكذلك اصبح الاشتراك السنوي في السلسلة السيكولوجية ست ليرات لبنانية في سورية ولبنان وجنيهاً مصرياً واحداً في الخارج ، اما الذين سددوا الاشتراك عن السنة الثانية فستعمد الدار الى التعويض عليهم وذلك بأن يختاروا من منشوراتها المختلفة ما تبلغ قيمته ثلاث ليرات لبنانية .

•

توزيع شركة فرج الله وحتي — وكيل الدار في العراق : محمود حلمي

طبع الكشاف بيروت